

النشرة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"..خاصة بالاعضاء

العدد الخامس السنة التاسعة والعشرون مارس (النصف الاول) ١٩٩٣

رأينـــا

بسم الله الرحمن الرحيم

نحو أخوّة استراتيجية

■ لم يكتف الموقف الامريكي بالتراجع عن التزامه للوفد الفلسطيني المفاوض بما سمي بمشروع النقاط الست فحسب، وانما تجاوز ذلك الى الافتراء على الشعب الفلسطيني، وعلى منظمة التحرير الفلسطينية، بالادعاء ان الفلسطينيين هم الذين تراجعوا عن هذه النقاط. فلم يتورع الوزير كريستوفر ومرافقوه من تقديم معلومات مغلوطة حول حقيقة ما تم بين الوفد الامريكي والوفد الفلسطيني في القدس لوزير الخارجية الروسي، الذي وافق كريستوفر على توجيه الدعوات للجولة التاسعة. وكما ان المعلومات التي قدمت للاطراف الاوروبية التي التقى بها كريستوفر، كانت منافيه للواقع. وقد اتضحت هذه الحقيقة من خلال اتصالنا بكل هذه الاطراف واطلاعهم على الحقيقة بوثائقها، موضحين طبيعة اللعبة غير النزيهة التي تلعبها الادارة الامريكية الجديدة.

لقد بدأت هذه الادارة سياسة الازدواجية والكيل بمكيالين منذ اول عهدها، وذلك عبر التحايل والالتفاف حول القرار ٧٧٩، بالعمل على تفريغه من محتواه الالزامي. ناهيك عن الموقف الصارخ من قضية القدس، بكل ما تمثله من قيم وطنية وقومية وروحية للشعب الفلسطيني وللامة العربية والاسلامية. ان الانطباع الاول الذي يوحي به هذا التراجع الامريكي، هو ان الادارة الامريكية والكيان الصهيوني يضعان معا العقبة الكأداء امام مشاركة الفلسطينيين في مسيرة التسوية. فالوفد المفاوض لا يمكنه المشاركة عمليا في ظل وجود قضية المبعدين غير المحلولة. وفي ظل استمرار سياسة الابعاد، التي تجد حمايتها في ظل الموقف الامريكي المنحاز. كما ان منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن ان توافق للوفد الفلسطيني المفاوض ان يدخل في مفاوضات تستثني قضية القدس ولا تعتبرها ارضا محتلة مشمولة بالقرار ٢٤٢ بالتفسير المستند للقانون الدولي.

لقد كان الاعلان الامريكي عن دوره الجديد في عملية التفاوض بوصفه الشريك الكامل، يعيد الى الاذهان صورة ذلك الشريك الكامل في مباحثات كامب ديفيد. فقد تم في ظل ذلك الشريك الكامل اصطياد السادات بعيدا عن كل طاقات وقدرات ومصادر قوة الامة العربية والاسلامية. وفي ظل غياب التضامن العربي والموقف العربي الموحد، تنازل السادات عن الحقوق الوطنية المشروعة.. وعن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وقيد المستقبل الفلسطيني في اطار ما يسمى بالحكم الذاتي دون القدرة على الوصول الى فهم مشترك لهذا التعبير. وفي غياب كامل لمنظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

لقد كانت امريكا في كامب ديفيد شريكا كاملا للكيان الصهيوني ولتحقيق اهدافه الاستراتيجية. فقد كانت تدرك معنى اصطياد القوة العربية الكبرى وتجميد طاقات

البقية ص 22

قضايا نظرية

خصائص نضالنا الوطني

الحلقة الرابعة

■ في العدد السابق، كان حديثنا عن خصائص نضالنا، في اطارين الوطني والقومي. وهو لا يقف عند هذين الاطارين، وانما يتعداه الى اطر اخرى: ـ

ثالثا: ارتباط النضال الوطني بالنضال الانساني، وهنا نأتي الى الجزء المكمل لشعار أن الثورة فلسطينية الوجه عربية العمق، لنقول (انسانية الآفاق)، وكلمة الآفاق هنا لكي تعطي معنى الارتباط بالاهداف. وهي الأهداف الانسانية التي تتأسس على قاعدة الاهداف الشمولية، الحرية والعدالة والسلام والتقدم ضمن مبدأ الترابط والتكامل.

ان أية أهداف انسانية استجدت أو تستجد، ظهرت أو تظهر على قاعدة هذا المبدأ وهذه الاهداف الشمولية، هي أهداف تتفق مع غايات نضال فتح ومسيرتها.

بهذا المنطق تمكنت فتح من المواءمة بين الوطني والقومي والانساني.

رابعا: ارتباط الوطني بالاجتماعي من حيث:

١ـ استخدام كافة الحوافز الاجتماعية والانسانية والدينية في نطاق النضال من أجل تحقيق الاهداف.

٢ـ الارتباط بالقيم الاجتماعية المبنية على مبادىء العدالة والمساواة الانسانية وحقوق الناس انسانيا واجتماعيا وقيمهم الاخلاقية، ودور المرأة وحقوق الانسان والكرامة الانسانية.

خامسا: ارتباط النضال الوطني بقوانين الصراع الخاصة لمرحلة التحرر الوطني، وهي القوانين المستمدة من طبيعة المراحل أو المحطات لمرحلة التحرر الوطني ومن الظروف الموضوعية. وتشتمل على القواعد المجربة في اساليب وتكتيكات النضال ومنهج الكفاح الوطني، كترتيب التناقضات والاولويات ووضع سياسة المراحل والتحالفات واختيار الاساليب.

ان اساليب واشكال النضال ترتبط بمسألة طبيعة كل محطة من محطات التحرر الوطني القائمة أو المحتملة، والظروف الموضوعية المحيطة بنضال التحرر الوطني وكل محطة من محطاته.

والمبدأ هنا هو اختيار الاساليب التي تنطلق من الواقع بهدف تغيير الواقع. اذن ان الاساليب محدودة بحدود الواقع، ولكن ليس على قاعدة الاستسلام لهذا الواقع.

اذن يقابل الثبات في الاهداف والمبادىء لدى فتح، حركية في اساليب واشكال النضال. وقد بينت الحالة الانتفاضية المعاصرة أن هذه الحركية يمكن أن تؤدي الى اتخاذ الاساليب الخلاقة والفعالة والمتناسبة مع الظروف الموضوعية.

أما في الاساس ومن حيث القاعدة فان الشكل الرئيسي لنضال التحرر الوطني في ضوء طبيعة العدو، وطبيعة القوة، التي يعتمد عليها ويستخدمها، والظروف العامة الموضوعية لنضال التحرر الوطني الخاص بقضية فلسطين، هو شكل الكفاح المسلح. وحركية الاسلوب

قضايا نظرية

قضايا نظرية

تستند على اعتماد هذا الشكل من حيث القاعدة والاساس.

ان أية حركية في الاساليب يجب أن تستند الى استخدام الاسلوب الاجدى باتجاه الثبات في مضمار الاهداف والمبادىء، وهي حركية يجب أن تعتمد على قياس الظروف الموضوعية الكبرى المؤثرة والتي لا يمكن تجاوزها، والاستنباط أو الابتكار من هذه الظروف لما هو ملائم لتحقيق الاهداف والالتزام بالمبادىء.

ان ثبات الاهداف لا يتعارض، ويجب أن لا يتعارض مع حركية الاسلوب أو الأساليب، وقد يبرز ظن التعارض من منطلقين: مدى رؤية جدوى الاساليب في مرحلة من المراحل أو فعاليتها، وتطبيق مبدأ المراحل على أساس اتخاذ أهداف مرحلية انطلاقا من حركية الأساليب.

ان ثبات الهدف النهائي ينطلق من مبدأ ثبات الاهداف، وان مبدأ المراحل ينطلق من حركية الاساليب، وان الخط المتصل والصاعد بين الاهداف المتعاقبة لتحقيق الحد الاقصى الممكن عبر كل مرحلة من المراحل والموصل للهدف النهائي هو اداة الجمع بين الثبات والحركية لكل منهما.

وفقا لكل ما تقدم نستطيع أن نحدد جوهر فتح على أنه التجسيد النضالي للوطنية الفلسطينية في مكافحة الحالة الصهيونية في فلسطين، وكافة افرازاتها، وهذه المكافحة يجب أن تتخذ الاسلوب الانجع والمجدي في نطاق الاسلوب الرئيسي في كل مرحلة من المراحل ارتباطا باهداف فتح وعلى أساس مبادئها.

أما المسألة الاساسية في استيعاب فتح لضرورات التطور أو التجديد من حول هذا الجوهر ولاتخاذها الاسلوب والصيغ المناسبة انطلاقا من حركيتها، فهي كيف تجسد فتح نفسها في كل مرحلة على أساس هذه الفكرة.

ان هذا هو معنى التطور الذي من الممكن أن يكون ضروريا لدى مواجهة أية مستجدات موضوعية تقتضي التطور في صيغة فتح وديناميكيتها وهذا التجسيد، يجب أن يتم وفقا للمعطيات الموضوعية لكل مرحلة وظروفها ومستجداتها، بحيث يتم استيعاب هذه المستجدات ايجابيا واستلهام ضروراتها ومقتضياتها واستحقاقاتها، ووضع الخطوط الجديدة على أساس ما يتيحه التعامل الايجابي بالحد الأقصى الممكن لمعطيات كل مرحلة.

ان الاستمرارية تقتضي استيعاب فروض التطور ومقتضياته على أساس مستجدات الواقع الموضوعي أو الذاتي، ولكن على أساس المحافظة على الجوهر.

ان الصيغة والشكل والاسلوب تقبل الحركية بأوسع نطاق يقتضيه الواقع، أما الاهداف والمبادىء فانها الجوهر الذي تخضع له تلك الحركية وتتم في نطاقه.

لقد تبلورت افكار فتح الاساسية في وثائقها المرجعية ضمن أربعة محاور هي:

١ـ المبادىء الاساسية.

٢ـ الاهداف.

٣ـ الاساليب.

٤ـ النظرية التنظيمية.

وقد تضمن النظام الأساسي للحركة قواعد هذه المحاور في ابوابه المختلفة الخاصة بكل منها. وهي أبواب المبادىء الأساسية، الاهداف والأسلوب، ثم الابواب التنظيمية والمفاهيم الأساسية، التي تناولتها الشروح التنظيمية في كتاب التنظيم بين النظرية والتطبيق في تجربتنا، وفي زاوية القضية التنظيمية في نشرة فتح دوريا.

وللاستكمال التفصيلي لجانب الفكر الأساسي للحركة يمكن تناول الفصول الثلاثة الأولى تفصيليا وفقا لما قدمه الباب الأول من النظام الأساسي، وهو الباب الذي يتمتع بدرجة زائدة من المناعة والحصانة أمام التعديل قياسا بباقي أبواب النظام الاساسي الاخرى وفقا لتقاليد وقرارات الحركة وخاصة قرار المؤتمر الرابع بهذا الخصوص.

اذن ان فكرنا الوطني ليس وليد نزعة انكفاء أو ذاتية قطرية أو ردود افعال فرضتها وقائع الصراع والظروف، انه نتاج خيارنا الانساني والقومي والوطني انطلاقا من القيم ومن الموقع الذي عقدنا العزم على الالتزام به في خيار الانسانية للخير والعدالة والتقدم. وهو فكر قابل لاستيعاب المستجدات ضمن هذه الأسس، وضمن الارتباط الدائم والطبيعي والنهائي بأمتنا العربية، بكل ملامحها الانسانية والتاريخية ■

الذكرى الخامسة والعشرون لمعركة الكرامة الخالدة

ذكرى ودروس في عصر الانتفاضة

تأتي الذكرى الخامسة والعشرون لمعركة الكرامة الخالدة وثورتنا الفلسطينية تخوض حربا شعبية شاملة تعبر عنها الانتفاضة المباركة داخل الارض المحتلة، ولعل ما يربط بين الكرامة والانتفاضة هو ما تتسمان به من صفة الانعطاف التاريخي في المسار النضالي السياسي والعسكري وما تسجلانه على ارض الواقع من بداية لمرحلة جديدة يؤرخ لها وتشكل مفصلا يكرس الثوابت النضالية التي فرضها النضال الفلسطيني لتصبح حقائق على ارض الواقع، وتهدم في نفس الوقت الكثير من الاوهام الزائفة التي راهنت عليها مخططات العدو الصهيوني والامبريالية الامريكية والقوى الرجعية العميلة.

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ۝١٧﴾

سُورَةُ الرَّعْدِ

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ

ولعل احد ابرز السمات المشتركة التي تجمع بين الكرامة والانتفاضة هو خروجهما عن المألوف من التجارب والقواعد العامة للحرب الشعبية وانماطها من عصابية ومتحركة او دفاعية وهجومية وما الى غير ذلك من اشكال حرب الشعب، وعدم تطابقها مع اي من التجارب النضالية الخاصة التي سجلها تاريخ حركات التحرر الوطني في العالم. وهذا ما يؤكد على تفرد التجربة الثورية الفلسطينية واتسامها بصفات خاصة تجعل تجربتها الذاتية وظروفها المتميزة منبع تجربة ريادية نضالية جديدة تغني مسلسل التجارب النضالية الثورية وتدعم القوانين الثورية العامة بتوسيع آفاق شمولية تطبيقها. فالطلائع الثورية قادرة دائما على اجتراح المعجزات بايمانها المطلق بحتمية النصر وباستعدادها الدائم للتضحية. كما ان الجماهير الشعبية هي دائما وابدا منبع الابداع الريادي الثوري والمعين

ثورة حتى النصر

ثـورة حتـى النصـر

الذي لا ينضب سيله بالعطاء الزاخر بالبطولات والتضحيات والتفاصيل النضالية اليومية التي تشكل بمجموعها سفر الثورة الخالد.

لقد بلغ التراكم الثوري النضالي في كافة مجالاته التنظيمية والسياسية والعسكرية والدبلوماسية حدا وصل بجماهير الارض المحتلة الى درجة الغليان في جو عربي ودولي يحيطها باسوار المفاهيم القديمة البالية التي تضغط بالاتجاه المعاكس لحركة التاريخ. فجاء انفجار الانتفاضة الثورية العارمة ليحدث الشرخ في هذه الاسوار. ويأتي استمرار الانتفاضة وتصعيدها وتطويرها ليقوض هذه الاسوار وليحطم كل العوائق التي تقف في طريق تحقيق الشعب الفلسطيني لاهدافه في دحر الاحتلال وتحقيق الاستقلال الوطني واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقلة.

قبل معركة الكرامة، كانت الجماهير العربية الفلسطينية تعاني من تراكم اليأس والقنوط والاحباط الذي تواصلت به مآسي النكبة مع هوان النكسة. وكان الانتصار الساحق الذي حققه جيش العدو الصهيوني على الجيوش العربية النظامية في مصر وسوريا والاردن قد طبع على جبين الامة العربية بصمات الانسحاق النفسي مما جعل وزير الحرب الصهيوني موشي دايان يعلن (انه ينتظر مكالمة هاتفية من عبد الناصر يطلب فيها شروط "اسرائيل" لتوقيع مصر على الصلح). وفي النصف الثاني من آب ١٩٦٧ عندما رن جرس الهاتف في مكتب دايان استمع من يقول له: "ان "فتح" اعلنت انطلاقتها الثانية واعلنت في بلاغ عسكري رقم (٧٥) انها ستواصل الكفاح المسلح".

ستبدأ حركة "فتح" بهذه الانطلاقة مرحلة ترسيخ مفهوم حرب التحرير الشعبية كطريق وحيد لتصفية الكيان الصهيوني بكل مرتكزاته العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وستمسح عن جبين الامة العربية كلها عار حزيران، كما انها ستحرم العدو الصهيوني من جني ثمار النصر السريع الذي حققه، وترد على صلف وعنجهية دايان الذيب يقول: "فتح والفدائيون من هؤلاء؟! انهم كالبيضة في يدي استطيع ان احطمها متى اشاء".

كانت حركتنا "فتح" قد عقدت اجتماعا حركيا موسعا يوم ١٩٦٧/٦/٢٦ تدارست فيه الواقع الجديد الذي نشا عن العدوان الصهيوني وعن آثاره السلبية التي بدأت تجتاح الجماهير العربية بشكل عام والشعب الفلسطيني بشكل خاص. فقد بدأ العدو الصهيوني يفرض حالة تعايش داخل الارض المحتلة مما يجعل شعبنا الفلسطيني الباسل وامتنا العربية ذات التاريخ العريق مهددة بالاستسلام للهزيمة ولقبول الواقع الجديد الذي افرزته. وكان لا بد لنا من وقفة جادة ومواجهة الهزيمة بالتحدي العملي ومنع الانهيار النفسي، وبالتالي استنهاض قوى الامة العربية بكاملها لمقاومة هذا العدو وتحرير الارض المحتلة بمواصلة الكفاح المسلح وتصعيده. وقد تجسدت ارادة التحدي في القرار الذي اتخذه ذلك الاجتماع والقاضي بانتقال قيادة "فتح" وكوادرها الى داخل الارض المحتلة. وهكذا وجد اعضاء "فتح" انفسهم امام محك حقيقي يضع كل عضو في مكانه المناسب في الثورة. وقد تركز العمل في المناطق المحتلة على محورين اساسيين:

اولهما: تجميع الاسلحة التي تركتها الجيوش العربية خلفها سليمة في ربكة الانسحاب وتجميعها وتخزينها في اماكن جديدة لتكون في متناول يد الثوار والدوريات المكلفة بمهمات نضالية داخل الارض المحتلة.

ثانيهما: المباشرة في تنظيم الجماهير وبناء الخلايا السرية في المدن والمخيمات والقرى وبشكل شامل. لقد كانت الاستجابة الجماهيرية داخل الارض المحتلة لروح التصدي والتحدي، التي مارست حركتنا عملها على اساسها، استجابة عارمة ومندفعة بشكل افقد الكثير من المهمات والخلايا سريتها الضرورية. وبالرغم من ذلك فقد ادى التماس المباشر بين الثورة والجماهير الى انشاء اكثر من خمسين قاعدة سرية وشبه سرية في مرحلة لا تتجاوز شهرين. وقد زودت هذه القواعد بالاسلحة المتوفرة وتحول بعضها الى معسكرات للتدريب المحلي. لقد كان قرار العدو الصهيوني برفع حظر التجول بعد بضعة اسابيع من حرب حزيران تعبيرا عن استهتاره بالروح الوطنية النضالية للشعب الفلسطيني مما زاد من حجم الضغوط النفسية لشعب يواجه الاحتلال، كان لا بد ان يأتي الرد. لقد اصبحت حركتنا أمل الامة العربية كلها.. وعلى

كاهلها وقع عبء التصدي الثوري. ويومها قال المرحوم الرئيس عبد الناصر لوفد من حركتنا: "ان لم تتحركوا انتم وتشعلوها ولو بعود كبريت فلن يكون من الممكن الاستمرار".

وكان مما يسهل الامور على حركتنا وثوارها هو انسجام طبيعة المهمات النضالية الراهنة مع الخط الاستراتيجي العام الذي بنته حركتنا نظريا قبل عشر سنوات وقامت بتطبيقه على ارض الواقع بالممارسة العملية منذ الانطلاقة الاولى في ١٩٦٥/١/١، وحتى حزيران ١٩٦٧، وها هي حركتنا تعلن عن انطلاقتها الثانية في ٢٨ آب ١٩٦٧ ببدء العمل العسكري خلف خطوط العدو، انطلاقا من ركام اليأس والتردي الى قمة الامل والتحدي، انطلاقا من محيط هزيمة الجيوش الى منبع انتصار الانسان.

وبدأ مسلسل الضربات الفدائية الجريئة التي غطت مساحة الارض المحتلة كلها، وعلى مدار اربعة اشهر، هي كل ما تبقى من عام ١٩٦٧ ... عام النكسة، استطاع ثوارنا القيام بـ (٧٩) عملية عسكرية ادت الى قتل وجرح (٣١٨) صهيونيا بينهم ٩ ضباط. كما تم الهجوم على (١٣) مستعمرة ونسف قطارين وتدمير (٤٤) سيارة ونسف مخزن الذخيرة الرئيسي في منطقة عكا وقصف ضواحي القدس بالصواريخ وضواحي تل ابيب بالهاون. واسقاط طائرتين الى جانب تدمير عدد من منشآت المياه وتوليد الكهرباء.

ولقد ولدت "فتح" في هذه الاشهر الصعبة (٤٦) بطلا بين شهيد واسير اكثر من نصفهم كان من الكوادر القيادية المسؤولة.

لقد واجه ثوارنا اسلوب العدو بشن حملات التطويق والابادة بسرعة التحرك والانتشار ولم يعد ممكنا التشبث بالجبال كقواعد ارتكازية آمنة، ونظرا للطبيعة الطوبغرافية والديمغرافية، وتفوق العدو بالسلاح، وقدرته على الحركة، كان لا بد من الالتجاء الى غابات البشر في المدن والمخيمات حيث الكثافة السكانية تشكل الحماية الجماهيرية للفدائيين. وعندما شعر العدو الصهيوني بخطورة الوضع المتفجر في قطاع غزة والضفة الغربية عاد وفرض حظر التجول اعتبارا من ١٩٦٨/٢/١، بسبب تصاعد العمليات العسكرية، مما اعاد للروح النضالية الفلسطينية اعتبارها وجعل قيادة حركتنا تخطط لانشاء القواعد الارتكازية الاكثر امنا...

كانت منطقة الكرامة والكريمة اكثر المواقع ملاءمة لالتحام الجماهير بالثوار. فقد تحمل ذلك الشريط الممتد على محاذاة نهر الاردن طوفان الهجرة الفلسطينية الثانية التي فرضت عليها ظروف قسوة الشتاء اختيار غور الاردن مكانا للاقامة حيث تم انشاء سبع مخيمات طوارىء على امتداد هذا الشريط من جسر الملك حسين وحتى جسر دامية.. واصبحت الغابة البشرية في الكرامة وفي مخيمات الطوارىء تعج بمئات المقاتلين من قوات العاصفة الذين كانوا يصلونها بطرق سرية وعبر الدعم والمساعدة التي كان يقدمها الجيش العراقي من جهة والتغاضي الذي كان يبديه جنود وضباط الجيش الاردني من جهة اخرى ايمانا بضرورة دعم المقاومة وعدم الوقوف في طريق من يهبون حياتهم من اجل ازالة عار هزيمة حزيران عن جبين كل العرب.

لقد كانت ظروف فصل الشتاء، وارتفاع نهر الاردن في هذا الفصل من العام تعيق حركة الفدائيين الى الضفة الغربية من النهر، وتفرض اقامتهم لبعض الوقت على الضفة الشرقية للنهر. وبتصاعد العمل العسكري عبر النهر وجد الكيان الصهيوني نفسه مجبرا على التعامل مع نوعين من العمليات الفدائية الاولى تنطلق من داخل الارض المحتلة والثانية تتم على الضفة الغربية من نهر الاردن مع القوات التي كانت تشق طريقها عبر خطوط العدو للوصول الى ارض الوطن. وحمل الكيان الصهيوني النظام الاردني مسؤولية اي عمل ينطلق من الاردن، وفي نفس الوقت اخذ يكثف من دورياته وكمائنه غرب نهر الاردن لمنع عبور المقاتلين.

واستمرت موجات القصف الصهيوني لمدة اسبوع بشكل يومي كان اعنفها يوم ١٥ شباط حيث بدأت الترتيبات لنقل مخيمات الطوارىء السبعة وسكان الكرامة من الاغوار الى مناطق بعيدة عن مرمى مدفعية العدو الصهيوني، وحتى يصبح الوجود الفدائي مكشوفا ومعزولا عن الحماية الجماهيرية.

ولم تكن حركتنا بحاجة لاهدار طاقاتها في تناقضات ثانوية ولكنها كانت تصر بحكم مبادئها على استقلالية العمل النضالي الفلسطيني وعدم تبعيته او خضوعه او توجيهه من اية جهة غير الشعب الفلسطيني. وجاء رد الناطق الرسمي لحركتنا في ٢٠ شباط مؤكدا: "ان فتح لن

تسمح باية حال لاي انسان او حاكم عربي ان ينحرف بها عن اهدافها ويزج بها في معارك جانبية، وتؤكد انها لن تلقي السلاح تحت اي تهديد او وعيد وستقاتل مع شعبها وعلى ارضها رغم كل الظروف".

ومع نهايات شهر شباط ١٩٦٨ كان معظم سكان مخيمات الطوارىء والكرامة قد انتقلوا الى المخيمات الجديدة في البقعة وزيزيا وسوف وشنلر ولم يبق من السكان الا القلائل الذين ارتبط وجودهم بوجود الفدائيين.

وفي ٢٨ شباط فقدت حركتنا واحدا من ابرز قياداتها حيث استشهد الاخ عبد الفتاح حمود عضو اللجنة المركزية للحركة وجاء يوم تشييعه يوم ٢٩ شباط يوم انتفاضة جماهيرية صاخبة طغت على عمان وحطمت قيود النظام. لقد كان الشهيد معروفا للجماهير التي عاشت مرحلة الصمود في مخيمات الطوارىء حيث كان على علاقة وتماس بالجماهير، فاندفع سكان المخيمات الجديدة ليودعوا قائدهم الشهيد وليجعلوا من جنازته يوم الرد للعدوان الذي لحق بهم في حزيران وما تلاه من مؤامرة تهجيرهم وابعادهم عن حدود ارض فلسطين وسارت السيارات مسلحة في الجنازة واطلقت فوق قبر الشهيد رصاصات التحية لجثمانه الطاهر. وبدأت الجماهير في الاردن تعيش عصرا جديدا تكسرت فيه الكثير من قيود السرية السابقة.

اخذت حركتنا تتابع تصريحات قادة العدو وتراقب تحركاته العسكرية على الارض، فاصبحت على ثقة كاملة بان العدو سيهاجم الكرامة لانه يعي خطورة القواعد الارتكازية الامنة التي اصبحت تشكل واقعا خطرا على خط التماس مع قواته وكان على قيادة الحركة ان تقرر هل ستصمد في الكرامة وتخوض معركة حاسمة مع العدو ام تخضع لقوانين حرب العصابات بعدم خوض المعارك الحاسمة والوقوع في فخ عمليات التطويق والابادة التي يمكن ان يقوم بها العدو. كان لا بد من دراسة الموقف من كافة جوانبه واتخاذ القرار التاريخي الذي ينسجم مع طبيعة المهمة التاريخية التي تتصدى لها حركتنا لانجازها. وكانت اولى المهمات هي الاستعداد للصمود في انتظار القرار الحاسم، فقد بدأت الحركة في حفر الانفاق وانشاء مواقع دفاعية سقفت بالاسمنت المسلح لتوفر للمقاتلين اكبر قدر من الحماية ولتمكنهم من استعمال اسلحتهم تحت اي ظرف تفرضه طبيعة المعركة. كما عمدت الحركة الى احاطة مناطق التقدم المرتقب للعدو بحقول الالغام وعمدت الى تطبيق سلسلة من السناريوهات المتوقعة للمعركة واجراء المناورات والتدريبات اللازمة والمنسجمة مع طبيعة شوارع الكرامة وبيوتها والخنادق والانفاق والملاجىء المتواجدة فيها. كما تم توزيع المقاتلين الى مجموعات صغيرة في اطار مهمات محددة دفاعية وهجومية، لقد وضعت خطة شاملة للمواجهة في حرب متحركة مع العدو بانتظار القرار القيادي الحاسم وطبقا لمعطيات المعلومات وبما يؤمن النتائج المنسجمة مع خط الكفاح المسلح والتي تدعم استمراره وتصاعده. كان السؤال الذي طرحه واقع تجارب حرب الشعب هل نصمد في الكرامة ام نصعد الى الجبل؟؟.

كانت اعين الحركة الراصدة تتابع تحركات العدو وتحشداته، وجاء تقريرها الذي يحتم ويؤكد ان العدو يحشد اعدادا كبيرة من قواته على الضفة الغربية لنهر الاردن بهدف الهجوم على منطقة الكرامة. وبادرت حركتنا بفضح هذا المخطط اعلاميا عبر تصريح الناطق الرسمي للحركة بتاريخ ١٩٦٨/٣/١٩ والذي جاء فيه: "قام العدو خلال الثماني والاربعين ساعة الماضية بحشد قوات كبيرة على طول نهر الاردن... غطى على هذه العملية بحملة دعاوية تميزت باتساعها في محاولة لتضليل الرأي العام العالمي وايهامه ان الثورة الفلسطينية التي تقودها "فتح" تنطلق من دولة عربية او اخرى وقد ساهم في هذه الحملة رئيس جكومة الصهاينة اشكول امام الكنيست ووزير دفاع العدو دايان ورئيس اركانه بارليف، ورئيس قسم الاستخبارات العسكرية اهرون ياريف في مؤتمر للصحافة العالمية عقد في تل ابيب، وشارك في حملة التضليل هذه مناحيم بيغن وزير الدولة في مؤتمر رامات جان. وقد حملت هذه التصريحات العديدة في طياتها تهديدا جديدا بشن غارة عدوانية اخرى على الاردن بنفس الحجة التي طالما كرروها وهي وجود قواعد للفتح في الاراضي الاردنية.

وقد تضمن التصريح سلسلة من الحقائق التي توضح كذب الادعاءات الصهيونية السابقة التي ادعت انها قضت على ٩٥٪ من تنظيم فتح.. كما اوضحت فشل محاولات دايان في مواجهة تيار الثورة المتدفق

ثورة حتى النصر

داخل الارض المحتلة وفضحت محاولة العدو الصهيوني ربط كفاحنا الفلسطيني بخارج وطننا وذلك في محاولة لطمس حق الشعب الفلسطيني في الكفاح ونفي حقيقة كون ثورتنا حربا تحريرية لشعبنا نابعة من ارادته وتصميمه، ومحاولة العدو الصهيوني صرف انظار الرأي العام العالمي عن محاولات الارهاب البربرية التي يمارسها ضد ابناء شعبنا. وأكد التصريح على عجز عصابة تل ابيب عن امتصاص السخط الذي بدأ يعم الصهاينة نتيجة لتزايد ضربات قوات العاصفة داخل فلسطين المحتلة. واكد التصريح للرأي العام العالمي ان شعب فلسطين يمارس حقه الطبيعي في النضال من اجل تحرير وطنه ولن يتوقف حتى يكتب لثورته العاصفة النصر الكبير.

وظلت قيادة الحركة طيلة يوم ١٩٦٨/٣/٢٠ تناقش الامر من كل جوانبه. هل يصمد المقاتلون في مواقعهم ام ينسحبون؟ وكان الاختيار صعبا وكان القرار خطيرا.. لقد قررت القيادة العامة انه لا بد من الصمود.. الصمود الواعي. وعندما اتخذت هذا القرار وضعت امامها الاهداف التالية:

١- رفع معنويات الجماهير الفلسطينية والعربية بعد نكسة حزيران.

٢- تحطيم معنويات العدو وانزال اكبر الخسائر في قواته.

٣- تحقيق الالتحام الثوري بين الجماهير حتى يصبح الشعب قوة منيعة ضد اي تحرك للوقوف في وجه الثورة.

٤- زيادة التقارب والثقة بين قوات العاصفة وافراد الجيش الاردني.

٥- تصفية القوى المضادة لحركة المقاومة المسلحة داخل الضفة الشرقية للاردن بكشفها وفضح مخططاتها الرامية الى تصفية الثورة.

٦- تنمية القوى الثورية داخل صفوف شعبنا.

٧- اختبار ثقة المقاتلين بانفسهم في معارك المواجهة مع العدو في هذه المرحلة الجديدة من مراحل كفاحنا المسلح.

ولم يكن قرار الصمود قد اتخذ من فراغ، فقد وضعت الحركة خطة شاملة ومتحركة تقوم على اساس البدائل المتوقعة في لحظة الصدام، هل ستكون فتح لوحدها في المعركة؟ هذا الموضوع له خطته الخاصة. هل ستكون الجبهة الشعبية وقوات التحرير الشعبية والجيش الاردني مع فتح في المعركة؟ هذا ايضا له الخطة المناسبة.

ولقد أكد بعض الضباط في الجيش الاردني الملتزمين بحركتنا انهم ورغم كل الظروف سيقومون باشعال نار التصدي مما سينقل العدوى الى كافة اسلحة الجيش المواجهة لتحركات العدو.

وبدأت المعركة.. وكان التصدي كما خططت له حركتنا.. وصمدت قوات التحرير الشعبية في مواقفها وجاءت المشاركة من الجيش الاردني بشكل لم يتوقعه العدو مما ساعد على الحاق خسائر كبيرة في صفوفه.

كان العدو قد وضع خطته بهدف سحق الروح المعنوية العربية والفلسطينية وتاكيد سطوته وجبروته التي كرسها في حرب حزيران. فقد كانت احدى الاحتمالات ان يدخل بجحافله منطقة الكرامة دون ان يجد فيها احدا منطلقا من خضوع قيادة فتح لقوانين حرب الشعب وتطبيقها نسخا دونما اعتبار لاهمية العوامل السياسية في القرار العسكري. وفي هذه الحالة كانت نزهته ستنتهي خلال ساعتين يحضر الصحافيون الاجانب بعدها لالتقاط الصور التذكارية لجنود العدو الصهيوني في الكرامة ويسجلون ان كل ما قام به رجال العاصفة هو تعريض شعبهم للرحيل والهجرات المتعاقبة ثم الهرب من ساحات القتال...

وكان الاحتمال الثاني ان يجد العدو الصهيوني من يقاتله ولكن قدرته الساحقة ستجعله ايضا يمارس عملية التطويق بالمظليين والدبابات واغلاق كماشته على المقاتلين واعتصارهم في جعبته بين قتيل وأسير.. دونما خسارة تذكر في صفوفه...

اما الذي حصل.. والذي كان غائبا عن احتمالات خطة العدو هو كما وصفه اشكول... الدخول في عش الدبابير.. فقد جوبه الصهاينة وارتالهم المتقدمة بسلسلة من الكمائن المتلاحقة وغابة من البنادق التي جعلت جنوده يفقدون صوابهم والسيطرة على اعصابهم، مما ادى الى اضطراب خطة العدو الذي ظل على مدار ساعات ثلاث مذهولا من هول المفاجأة. كانت مواقع الشهداء ربحي والفوسفوري وابو شريف وابو امية قد نفذت خطتها في الصمود والتصدي بشكل وجد فيه جنود العدو انهم

ثورة حتى النصر
ثورة حتى النصر

امام فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى وقدرة على القتال، لم يكن الصهاينة يتوقعونها. ولم تذهب هذه الدماء هدرا فقد استطاعت ان تصهر قيود قرارات النظام الاردني لجنوده بمنع المشاركة طوال ثلاث ساعات من المواجهة المكشوفة مع الفدائيين الذين لا يتجاوز عددهم الخمسمائة مقاتل وبين خمسة عشر الفا من جنود العدو تساندهم الدبابات والطائرات. وفي الساعة الثامنة والنصف بدأت المدفعية الاردنية الثقيلة في جبال السلط ومرتفعات الشونة تشارك في المعركة كما اصطدمت بعض الدبابات الاردنية بدبابات العدو في منطقة الشونة الجنوبية. وتمكنت وحدات المدفعية الاردنية من تحقيق اصابات مباشرة خصوصا عندما نصب العدو الجسور للانسحاب حيث ركزت المدفعية قصفها على هذه الجسور مما ضاعف خسائر العدو واعاق انسحابه.

وكما اثبت المقاتل الفلسطيني جدارته وكفاءته في معركة الكرامة، فان الجنود والضباط الاردنيين قاتلوا بكفاءة وجدارة على مدار اكثر من سبع ساعات. وكان تشبث هؤلاء الجنود والضباط بمدفعيتهم رغم القصف الجوي الكثيف يوحي بمدى الروح العالية التي يتحلون بها ومدى اصرارهم على القتال الى جانب اخوانهم الفدائيين الابطال.

لقد اكدت معركة الكرامة فيما اكدته من حقائق، كانت غائبة عن اذهان الكثيرين، ان الارادة والعزيمة الصلبة والانسان المناضل هما الاساس الذي يضمن النصر وليس تكريس السلاح.. كما اكدت ان المناضل الطليعي الواعي الملتزم عندما يتبنى قضية شعبه فانه بما يحمله بين اضلاعه من روح الاستشهاد يستطيع ان يجترح المعجزات. ولقد اكدت معركة الكرامة ايضا ان التجربة الخاصة والظروف الخاصة بكل حركة ثورية هي منبع الابداع لاتخاذ القرارات المناسبة وليس مجرد التطبيق الاعمى لتجارب ناجحة لدى شعوب اخرى. واكدت ايضا ان العالم لا يشعر بالعطف على الضعفاء والمستسلمين وانما يحترم الاقوياء الذين يصمدون من اجل تحقيق حقوقهم، فالعالم لا يحترم ضعف اصحاب الحق كما انه يرفض صلف وغطرسة اصحاب الباطل. لقد اظهرت معركة الكرامة شجاعة الانسان العربي الفدائي والجندي الرسمي وانهما عندما يخوضان معركة التحرير جنبا الى جنب يستطيعان تحقيق النصر. وان اسطورة الجيش الصهيوني الذي لا يقهر ظهرت على حقيقتها عندما وجد ان جنود هذا العدو مقيدون بالسلاسل داخل دباباتهم حتى لا يستطيعوا الهرب. ولم يستطع الجندي الصهيوني الافلات من قبضة القدر العاتية التي الحقها به الفدائي الفلسطيني مع اخيه الجندي في الجيش الاردني. وكان هذا التلاحم وهذه اللحمة في الكرامة بداية لرد الاعتبار لكرامة الجماهير العربية التي انسحقت في حزيران.

كانت حركتنا وثورتنا تناضل داخل الارض المحتلة وتختزن تجاربها النضالية مع الاجيال الثائرة التي تولد تحت الاحتلال وفي ظلال شموخ الثورة وبعيدا عن تأثيرات مخابرات الانظمة العربية. كانت مدارس الصمود داخل المدن والمخيمات والقرى في الارض المحتلة تتعهد ابناء جيل الكرامة الذين اخذوا يكبرون ويكبرون ويقومون بالمواجهة والانتفاضات المتتالية موجة اثر موجة الى ان استطاعوا ان يصلوا الى درجة الغليان الثوري الذي اعاد الامور الى نصابها بشكل اصبح فيه واضحا ان الوجود الصهيوني سيتحول الى عبء على الامبريالية الامريكية وان الانتفاضة المباركة التي توالت لاكثر من خمس سنوات لا تزال مستمرة ومتصاعدة ومتطورة بعيدا عن قدرة اي نظام عربي على اجهاضه وبعيدا عن العفوية والاذعان لقرارات الحكام ووعود اسيادهم الامريكان.. مؤكدين ان الشعب كل الشعب وليس طلائعه الثورية فقط يخوض على ارض فلسطين اليوم معركة الكرامة القومية الشاملة.. ان الغطرسة الصهيونية والقبضة الحديدية التي يستخدمها رابين لن تفت من عضد ثوارنا المجاهدين الابطال. وان سياسة الابعاد الجماعي ومحاولة ارهاب الجماهير بشبح (الترانسفير) لن توهن من عزيمة المكافحين من اجل الحرية والاستقلال، فمعركة عودة المبعدين واذعان الكيان الصهيوني للارادة الاممية بتنفيذ القرار ٧٩٩، هي المدخل الصحيح لطرق تنفيذ القرار الاممي ٢٤٢، وتحقيق انسحاب الجيش الاسرائيلي عن الارض المحتلة عام ١٩٦٧، وتحقيق الاهداف الراهنة للانتفاضة الجبارة عن طريق معركة الجماهير.. معركة النصر الاكيد على طريق الاستقلال والحرية واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

وانها لثورة حتى النصر

المجازفة على طريق التحرير

■ ماهي الاستراتيجية غير المباشرة؟

انها علم وفن وتنظيم واستخدام القول لمواجهة العدو في أضعف نقاطه ومن جهات لا يتوقعها بحيث يفقد توازنه ويبعثر جهوده ويشل تفكيره.. فحيثما تكون هناك ساحة صراع عنيفة، فيها طرف قوي متمكن وطرف قليل العدة والعدد، فان الاسلوب الوحيد الذي يمكن للطرف الضعيف من الصمود أمام الطرف القوي هو الاسلوب غير المباشر..

ولاشك في أن هذا الاسلوب وللوصول الى الهدف، يحتاج الى وقت طويل ومعاناة سياسية كبيرة، وقوى معنوية فائقة..

لقد اتبعت الثورة الفلسطينية في كفاحها لتحرير فلسطين هذه الاستراتيجية فوظفت الطاقات البشرية والمعبأة بالروح الفدائية القتالية وانطلقت تقاتل العدو في أماكن لا يتوقعها وتنزل به الضربات الموجعة والمؤلمة..

ولكن الثورة الفلسطينية، وكما قامت وانطلقت، سابحة ضد تيار الركون والخضوع للواقع الصهيوني الاحتلالي، وضد مقولات العجز والاستسلام، ففجرت ثورة الفاتح من يناير ١٩٦٥، فانها، استطاعت، أن تدع الاستراتيجية غير المباشرة جانبا وتجازف بكل كوادرها وقواتها عام ١٩٦٧، وتخالف المبادىء النظرية لحرب العصابات (اضرب واهرب) وتقف صامدة بأسلحة قليلة ولكن بروح معنوية عالية، وبصدور رجال عامرة بالايمان وبحتمية الانتصار على العدو، فتصنع ملحمة الصمود والنصر في شهر مارس من عام ١٩٦٨ في أغوار نهر الاردن في الكرامة.

في معركة الكرامة، قدمت، حركتنا، فتح خيرة قيادتها وشبابها وبما يعادل ثلث أعضائها المقاتلين في ذلك الحين، الذي كتب الله لهم الشهادة فصنعوا باستشهادهم أول انتصار فلسطيني عربي على العدو الصهيوني الاسرائيلي.

اذن بالاقدام والمجازفة في معركة عسكرية غير متكافئة، وبالتمتع بروح معنوية فائقة وبتصميم على عدم التراجع أمام العدو، وعدم الخوف من الخوف، وبالتلاحم النضالي الاستشهادي كان النصر في معركة الكرامة. الحسابات الصغيرة من خسارة وموت، من فقدان للمواقع، أو من خسارة سياسية واقتصادية لم تكن في وارد القيادة الفلسطينية آنذاك، بل كانت تتحرك في وسط جماهير شعبها الذي زادته (نكسة حزيران) مزيدا من الاصرار على متابعة طريق الفداء والانخراط في الثورة الشعبية المسلحة باذلا كل الغالي في سبيل تحرير فلسطين.

بهذا الاصرار على الموقف، وباتباع الاسلوب غير المتوقع من رجال العصابات استطاعت الثورة الفلسطينية أن ترسخ أقدامها وتضاعف في أعداد مقاتليها وكوادرها وأن تصبح الرقم الصعب الذي لا يمكن تجاوزه في حل مشكلة الشرق الاوسط ضمن المفهوم السياسي له.

هكذا هي ميزة هذا الشعب الفلسطيني، وهي خاصة من خصائص ومميزات الامة العربية التي لا تخضع للضغوط ولا تنصهر أو تندثر نتيجة للعدوان وللاحتلال، وانما تخرج من كل المحن أشد صلابة وأقوى عودا.

في هذا الشهر (مارس) وقد رافقه شهر رمضان العظيم، الذي يميز هذه الامة، حيث فيه كانت المعارك الفاصلة الكبرى في تاريخ هذه الامة منذ موقعة بدر الكبرى والتي تصادف ذكراها في هذه الايام الى حرب العاشر من رمضان لعام ١٩٧٣، والذي كان فيه الانتصار العربي المحدود على "اسرائيل" الذي فعل فعله منذ ذلك الحين في مسيرة المنطقة العربية عسكريا وسياسية وافرز (كامب ديفيد) وحرب لبنان ١٩٨٢ ثم زلزال الخليج ومؤتمر مدريد..

ان الثورة الفلسطينية، والانتفاضة الفلسطينية تخوضان في هذه الايام معركة الاستقلال في فلسطين، والاستقلال ليس هدية من الاحتلال، كما يحاول العدو أن يصور انسحابه المحتمل من قطاع غزة. انما هو نتيجة معارك صدامية يومية ونتيجة دماء مبذولة وأرواح طاهرة وأسرى ومعتقلين ومبعدين وجرحى جميعهم يساهمون اليوم في صنع ملحمة الصمود في غزة والخليل وخان يونس ورفح ونابلس.

ان هذا الصمود، وهذا الاقدام على التضحية، وتلك المجابهة العنيفة بين اللحم الفلسطيني، الاعزل والسلاح الصهيوني، بين السكين الفلسطينية والدبابة الاسرائيلية، استطاع أن يفرض قواعد لعبة جديدة في ميدان السياسة والتحرك الدبلوماسي، فأعادت الاتصالات الاوروبية الفلسطينية الى مستواها - وأكثر - الذي كان قائما قبل زلزال الخليج، وجميع الاخبار القادمة من مراكز صناعة القرار السياسي في العام تؤكد انه لا يمكن التجاوز عن الموقف الفلسطيني ولا يمكن المضي في مفاوضات طريق السلام (المدريدي) وتحقيق الامن والسلام وعقد الاتفاقات دون موافقة فلسطينية.

والفلسطينيون، قيادة وقوى سياسية أعلنوا شروطهم لاستئناف المفاوضات وأنه لا بديل عن اعلان "اسرائيل" التزامها بتطبيق القرار الاممي رقم ٢٤٢ على مجمل العملية السياسية والتزامها بعدم ابعاد أي مواطن فلسطيني عن وطنه مستقبلا والتزام أمريكا و"اسرائيل" بوضع قضية القدس على جدول الاعمال اضافة الى التعامل مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني المعني بأخذ القرارات وله فقط الصلاحيات.

لقد حاول الامريكان، اعطاء الوفد المفاوض، اكثر من حقيقته بتحويله الى مؤسسة قائمة بذاتها على طريق فصله عن القيادة. بحجة تمثيله لداخل فلسطين فقط وعدم التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية في الشتات.

الا أن وعي أعضاء الوفد، وانتماءهم الوطني وادراكهم لمرامي اللعبة السياسية، فوت هذه الفرصة وتتالت التصريحات من أعضاء الوفد التي تشير الى عنوان القيادة الفلسطينية وانها هي صاحبة القرار وما الوفد الا اعضاء يقومون بواجبهم ويقررون مهامهم وفقا للقرار الصادر عن القيادة.

ان التمسك بالهدف الاستراتيجي، ليس شعارا فقط وانما هو دليل عمل ومنهج سلوك، يقتضي من كافة الاطر الحركية ابرازه والتعامل معه في كل من الميدان العسكري والميدان السياسي.. فالعدو لم يصبح صديقا والوطن لا يقبل الا ابناءه. والتعامل مع العدو في الساحة الفلسطينية الساخنة، هو تعامل صدامي استشهادي - كما أن التعامل مع العدو في الميادين الاخرى، هو تعامل هجومي دفاعي وليس تعامل استسلامي مهزوم.

في ذكرى معركة الكرامة، كما في ذكرى حرب رمضان، كما في ذكرى معركة يوم الارض ، تبرز الحاجة اكثر من اي وقت مضى، الى التقدم والاصرار على مواقفنا..

وبقينا - كما يقولون - ان لعبة العض على الاصابع هي السائدة الان والعالم ينتظر من ذا الذي يقول آه.. قبل الاخر..

واخوة شهداء آذار/ ونيسان.. لن يكونوا من اولئك الخائفين المرتعبين.. بل انهم من الصابرين.. والنصر صبر ساعة. ■

زيارة رابين الى الشريك الكامل..

■ بدأت رحلة اسحق رابين الى امريكا. جاءت الزيارة وسط دوامة من الاحداث تتلاحق وتتزاحم، وتضغط بثقلها على صدر الكيان الصهيوني، وتثير في وسائل اعلامه موجة من الخوف والترقب والهواجس.

- من جهة.. ماذا يعني الرئيس كلينتون من تعبير (الشريك الكامل)؟ قال رابين لصحيفة واشنطن بوست انه يتلهف من اجل معرفة الدور الذي يمكن ان يقوم به الرئيس بيل كلينتون في محادثات السلام.. وانه يود ان يعرف من خلال محادثاته معنى البيان الامريكي الذي جاء فيه ان واشنطن ستكون شريكا كاملا في المحادثات!!

- من جهة أخرى تندلع الاحداث في الضفة وقطاع غزة، وتتواصل العمليات الجرئية في غزة، فحرب السكاكين صارت بديلا لحرب الحجارة. عمليات طعن المستوطنين تثير الخوف في قلب تل ابيب، ويتسابق المسؤولون في التصريحات حول ضرورة الانسحاب من قطاع غزة. تصيب المستوطنين حمى العنف، فيصعدون التوتر في غزة. ويزداد الجدل بين الداعين للانسحاب من طرف واحد من غزة، وبين الداعين للاحتفاظ بها، وبين المنادين بالانسحاب ضمن حل سياسي.. لقد عجزت كل الاجراءات والوسائل القمعية عن ايقاف حرب السكاكين في غزة، وانهار النظام الامني الاسرائيلي وكبرت المخاوف والهواجس في "اسرائيل".. كيف يواجهون هذه التطورات؟

- من جهة ثالثة أصبحت الجولة التاسعة على الابواب، والدعوات قد وجهت.. الفلسطينيون رفضوا استلام الدعوة، ورابين يخشى ان يحدد الفلسطينيون مصير الجولة.. وكالعادة، فان التكتيك الذي اتبعه يحاول ان يشرذم الموقف العربي من خلال اثارة موضوع الجولان وتقديمه على القضية الفلسطينية.

ان سياسة الاستفراد بكل طرف عربي على حدة، سياسة كامب ديفيد هي نهج الكيان الصهيوني الذي يسعى الى المزيد من التمزيق في الموقف العربي.

ان رابين يحاول اقناع الادارة الامريكية بتقديم المسار السوري الاسرائيلي على المسارات الاخرى، وخاصة المسار الفلسطيني لاضعاف موقف المفاوض الفلسطيني ولمحاولة اخذ اكبر ما يمكن اخذه من مكاسب، وخاصة في موضوع القدس..

- وهناك قضية المبعدين التي مازالت قضية حية على الرغم من محاولات اضعافها واخمادها بعد الصفقة الامريكية الاسرائيلية.. في محاولة جديدة لتجاوزها، يحاول رابين التذكير بان هؤلاء المبعدين ينتمون الى التيار الاسلامي والى حركة (حماس)، لذلك سبقت زيارة رابين الى امريكا تصريحات تندد بتهديد الاسلام المتطرف الذي تسانده ايران والذي يمثله حزب الله في لبنان وحماس في الاصوليين المسلمين، انه يحاول استعداد امريكا واقناعها بصحة موقفه من الابعاد.

هذه القضايا، وقضايا اخرى عديدة ستفرض حضورها على المحادثات الاسرائيلية الامريكية التي يتفاوت تقييمها في الاوساط السياسية، فهناك من يعتبر ان الزيارة ذات اهمية كبيرة، وهناك من يقلل من نتائجها حتى داخل الكيان الصهيوني نفسه.

تستمر هذه الزيارة عشرة أيام يلتقي خلالها رابين مع كلينتون، وقد عمل اركان الادارة الجديدة قبيل وصول رابين الى واشنطن على تقديم التطمينات "لاسرائيل" من خلال تصريحات تتعهد فيها الولايات المتحدة بعدم المساس بالمساعدات المالية والعسكرية والدبلوماسية "لاسرائيل". وقد رأى (ابا ايبان) الدبلوماسي الاسرائيلي المعروف في مقال له نشر في صحيفة معاريف ان ادارة كلينتون تدرك انه بدون مساعدة من طرف ثالث لن يتحقق السلام بين العرب و"اسرائيل".

ولعله يشير بذلك الى تعبير (الشريك الكامل) الذي ورد على لسان كلينتون.

ولعل تلهف رابين على معرفة المقصود بذلك من خلال لقائه بالرئيس الامريكي يعكس تخوفه من المدى الذي ستتدخل به الادارة الجديدة في المفاوضات، مما سيعري الموقف المتعنت للمفاوض الاسرائيلي وبالتالي لحكومة رابين، فيما اذا قررت الادارة التدخل الجدي في المفاوضات، وقد اطلق الامريكيون بعض التصريحات التي تعكس قلق الادارة الجديدة من التركيز الشديد لرابين على محاولة تقديم المفاوضات مع سوريا والذي من شانه أن يكون على حساب الاتصالات مع الجانب الفلسطيني. ولاشك ان الامريكيين يعرفون ان الموضوع الفلسطيني من الصعب تجاوزه، فالفلسطينيون لا يحددون مصير الجولة التاسعة او العاشرة او مستقبل

المفاوضات فيما يتعلق بقضيتهم فحسب، وانما يحددون مصير المفاوضات مع الاطراف العربية الاخرى، فان السوريين او اللبنانيين او الاردنيين لن يستطيعوا الاستمرار في مفاوضاتهم مع "اسرائيل" اذا لم يتحقق تقدم في المسار الفلسطيني.

ومهما يكن من أمر، ومهما كانت نتائج الزيارة، فان تمسك منظمة التحرير الفلسطينية بموقفها الصلب المتمثل في عدم حضور الجولة التاسعة ما لم تتحقق مطالبها، يظل السلاح الاقوى في هذه المعركة السياسية الشرسة، التي يحاول كل طرف في معركة صراع الارادات ان يملي ارادته.

لقد قدمت منظمة التحرير الفلسطينية المرونة الكافية لتذليل كثير من العقبات امام انعقاد مؤتمر مدريد وبدء ما يسمى بمسيرة السلام.

لقد قبلت منظمة التحرير الشروط المجحفة، وحاولت تحسين الشروط خلال المسيرة، ولن تقبل ان يتعامل معها احد على اساس انها الطرف الاضعف، الطرف الذي يضمنون مشاركته ولا يأخذون بعين الاعتبار شروطه العادلة.

رفضت منظمة التحرير الفلسطينية قبول الدعوة التي وجهها راعيا المؤتمر مادامت واشنطن تجاهلت النقاط الست التي تبلورت اثناء لقاء وزير الخارجية وارن كريستوفر مع الوفد الفلسطيني في القدس اثناء زيارته الاخيرة.

وعللت القيادة الفلسطينية رفضها المشاركة في الجولة التاسعة بان واشنطن لم تبذل جهدا من اجل تلك النقاط، ولم تمارس ضغطا على "اسرائيل" لضمان احترامها قرارات الشرعية الدولية ولمرجعية واهداف عملية السلام.

ان استمرار "اسرائيل" بتصعيد جرائمها وقمعها وانتهاكاتها اليومية لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة، ورفضها الامتثال وتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٧٩٩ القاضي بعودة المبعدين الجماعية، وكذلك محاولة تغييب موضوع القدس، كل ذلك يعطي منظمة التحرير الفلسطينية الحق في رفض المشاركة في الجولة التاسعة، وفي الوقت نفسه يشكل اداة ضغط على الكيان الصهيوني، ويكشف للرأي العام العالمي وجاهة الموقف الفلسطيني.

ولابد أن يكون ذلك الامر مفهوما لصناع القرار في الادارة الامريكية، وللرئيس كلينتون بالذات، الذي يعتبر ان تسوية ازمة الشرق الاوسط هي من صلب المصالح العليا للادارة الامريكية في المنطقة، وان القضية الفلسطينية هي جوهر الازمة وجوهر الصراع.

ومهما حاول رابين ان يكون مراوغا، فان النقاط الست المتعلقة بالشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، وحقوق الانسان في الاراضي المحتلة، وعدم شرعية الابعاد، وانطباق القرار ٢٤٢ على كل مراحل المفاوضات، وانطباقه على القدس ايضا، ان هذه النقاط ستكون ايضا جاهزة، ستكون جاهزة ليس لان الولايات المتحدة تؤمن بعدالة قضيتنا الفلسطينية، ولكن لان الارادة الفلسطينية تصر على عدم الذهاب الى المفاوضات اذا لم تتحقق مطالبها.

لقد وصلت المفاوضات مع "اسرائيل" الى طريق مسدود، ومع نهاية فترة ادارة بوش، كانت الطريق قد أصبحت مغلقة تماما.

وهاهي الادارة الجديدة تتحمل تركة بوش في الشرق الاوسط وفي العالم اجمع، وهي تركة ثقيلة، لان الشريك الاستراتيجي، اعني الكيان الصهيوني، هو شريك يحصد المصالح لنفسه، وياخذ الدعم والمساندة بلا حدود.. انه الشريك المدلل الذي يحق له ما لا يحق لغيره. انه الشريك الذي تغمض الولايات المتحدة العين عن جرائمه، ونحره لحقوق الانسان، واحتلاله للارض، وتشريده للسكان، وعدم التزامه بقرارات الامم المتحدة.

لذلك، اذا ارادت الولايات المتحدة، ان تلعب دور (الوسيط النزيه!!) أو الشريك الكامل، فعليها ان تمارس الضغط على "اسرائيل" لارغامها على احترام مرجعية المفاوضات، واحترام حقوق الانسان، واحترام مبادىء الشرعية الدولية.

ان النقاط الست التي تبلورت في لقاء الوفد الفلسطيني مع وارن كريستوفر يجب ان تحترم من جانب الولايات المتحدة، ويتعين على الادارة الامريكية اذا كانت حقا تقصد بتعبير الشريك الكامل الوسيط النزيه الذي يتدخل لصالح الحق والعدالة، يتعين عليها ان ترغم "اسرائيل" على قبول النقاط الست كمدخل لمعاودة المفاوضات على اساس معقول.

ان تمسكنا بهذا الموقف يجب ان يعمم حتى يصبح موقفا عربيا، ولابد للقاء القادم لدول الطوق في نهاية الشهر الجاري ان ياخذ بعين الاعتبار المطالب الفلسطينية، وان يقف الى جانب الموقف الفلسطيني، والا يسمح الاخوة العرب للمفاوض الاسرائيلي بالاستفراد على حساب القضية الفلسطينية■

قضايا دولية

أضواء على مسار التسوية في البوسنة والهرسك

■ يبدو أن أوروبا تناست أن التعصب القومي الصربي كان سببا مباشرا في اشعال الحرب العالمية الاولى، عندما اغتيل ولي عهد النمسا على يد أحد المتعصبين الصرب. اذ أن نكبة مسلمي البوسنة ـ الهرسك أظهرت ابعاد الدائرة المغلقة التي رسمتها اوروبا: التفاهم مع الصرب بالحسنى لانهم أقوياء، عدم تسليح المسلمين ليظلوا ضعفاء، الدخول في مفاوضات والضغط على الضعفاء لانهم عزل من السلاح. وبينما كانت الدائرة تستكمل انغلاقها كان الصرب قد قتلوا ماينوف عن ١٣٠ الف مسلم وشردوا قرابة مليونين واستولوا على ٧٠٪ من اراضي البوسنة والهرسك.

ان الصراع الدائر على أرض البوسنة هو بمثابة مختبر للمنطقة كلها، وفي ضوء النتائج التي ستتمخض عنها سيتحدد مستقبل عدد من بؤر التوتر الكامنة في منطقة البلقان. ويبدو حتى الآن أن الأمل ضعيف بالتوصل الى اتفاق، فقد انهارت مفاوضات السلام في لندن وجنيف بسبب تعنت الصرب ومطالبتهم بوضعية خاصة في الاطار الدستوري للبوسنة.

وبالرغم من تفاؤل الرئيس المسلم علي عزت بيكو فيتش بامكان التوصل الى حل على ضوء تزايد الدور الذي بدأت الولايات المتحدة الامريكية تلعبه في الازمة، فان المفاوضات قد علقت ـ مؤقتا ـ يوم ٧ آذار/ مارس الجاري وسط مؤشرات قوية الى احتمال التوصل الى اتفاق بفعل تزايد الضغوط على الطرفين الاسلامي والصربي. الا ان خطة السلام واجهت عقبات جديدة تتمثل بمطالبة الطرفين المتحاربين باجراء تعديلات على خريطة مقترحة لتقسيم البوسنة والهرسك على أسس عرقية. ومن الجدير بالذكر ان الخريطة المقترحة ستقلص الاراضي التي يسيطر عليها صرب البوسنة من ٧٠٪ الى ٤٣٪ وفي هذا السياق، عقد اجتماع باريس الاخير، بحضور سلوبودان ميلو سيفتش والوسيطين فانس واوين، لان فرنسا تعتقد ـ محقة ـ ان الزعيم الصربي يمتلك قدرة الضغط على صرب البوسنة للموافقة على خطة التسوية. وفي الوقت نفسه، بدأت الولايات المتحدة الامريكية مشاورات مع حلفائها في الحلف الاطلسي لتشكيل القوة الدولية التي ستشرف على تطبيق اتفاق السلام المعطل حتى الآن.

وفي اطار التنافس الامريكي ـ الاوروبي يبدو أن الولايات المتحدة الامريكية، على ضوء تحركها الملموس في البوسنة، نقلت مجال المنافسة الى عقر دار اوروبا. اذ بدأت بتحرك سريع لاعادة صياغة خطة التسوية بما يحافظ على علاقاتها ومصالحها مع جميع الاطراف، خاصة تلك التي ترفضها اوروبا في اطار مشروعها الموحد.

والواقع ان تلك المواصفات تنطبق على المسلمين في البلقان اكثر مما تنطبق على أي طرف آخر (طبقا لرؤية الباحث محمد خليفة)، وفي المحصلة يبدو أن السياسة الامريكية تبني جسورا راسخة مع كل من تركيا والبانيا والاقليات المسلمة في بلغاريا واليونان ويوغسلافيا.

وفي هذا السياق، يصح طرح علامات استفهام كبيرة حول دور الدول الكبرى في توريط المسلمين في مهمة كبيرة كانت نتيجتها العملية مجزرة كبيرة مرفقة ببطاقة تعزية. فالولايات المتحدة ارادت الضغط على اوروبا وتذكيرها مجددا بمشاكلها الامنية وحاجتها الى قوات الحلف الاطلسي. المانيا تريد اثبات دورها القاري بعد وحدتها السياسية باثبات وجودها من خلال المجموعات العرقية الدينية المحسوبة عليها تاريخيا. بريطانيا تريد تعطيل الدور الالماني في القارة الاوروبية من خلال افهام حكومة بون انها ليست اللاعب الوحيد في الساحة. وروسيا أرادت استعادة هيبتها المهانة دوليا واوروبيا بالتذكير مجددا انها تستطيع "الخربطة" السياسية والامنية اذا تأخرت الوعود الامريكية والاوروبية في مساعدتها ماليا واقتصاديا. وهكذا، فان عاما من مأساة مسلمي البوسنة كشف واقع وحقيقة المجتمع الدولي، وقدم لنا دروسا أهمها:

١ـ ان الدول الكبرى لا تريد أن يموت جندي واحد من جنودها من أجل البوسنة والهرسك، لذلك اكتفت بعقد مؤتمرات سلام حول البوسنة (لندن، جنيف، نيويورك).

قضايا دولية

قضايا دولية

٢ـ ان الامم المتحدة وقراراتها لا قيمة فعلية لها، بحد ذاتها، اذا لم تكن الدول الكبرى مصممة جديا على تطبيق هذه القرارات.

٣ـ ان ما يسمى بـ "النظام الدولي الجديد" قد يحقق السلام بين الكبار، لكنه في المقابل يفتح الباب واسعا امام حروب صغيرة عديدة.

٤ـ ان العالم يمكن ان يشهد تشريد وتهدير وقتل مئات الآلاف من البشر من دون أن يفعل شيئا جديا لوضع حد لذلك.

وفي سياق كل ذلك فان الدول الكبرى تقيس حجم مشاعرها، وبالتالي تدخلها في قضية ما، بمقدار قيمة هذه القضية في ميزان مصالحها واهتماماتها. وفيما تواجه مساعي السلام مفترق طرق حاسما تثار تساؤلات مهمة عن حقيقة موقف جمهورية الصرب من الصراع وتكهنات باحتمال وجود اتفاق دولي معها لتسوية الازمة، خاصة بعد أن تضمنت خطة فانس- اوين ثلاثة بنود اساسية: الاطار الدستوري للبوسنة، وسبل فك الاشتباك بين القوات المتحاربة، وخطة لتقسيم البوسنة الى عشرة اقاليم تتمتع بالحكم الذاتي في ظل حكومة مركزية ضعيفة. وبموجب اتفاقية جنيف يحصل الصرب على ٤٣٪ من اراضي البوسنة والمسلمون على ٢٥٪ والكروات ١٥٪، اما الاقليم العاشر فيعيش فيه خليط من المسلمين والكروات.

ان الخطة تم تفخيخها بعشرات الالغام الموقوتة، فهي تفتح الطريق لنشوب نزاعات حدود وجيوب قد تتحول الى حرب مفتوحة على الجبهات كلها تدفع الاقلية المسلمة ثمنها الكبير، وفق الاسلوب الاقتلاعي النازي ـ الصهيوني. وازاء الضغوط التي تعرض لها الوفد البوسني المفاوض أكد محمد فيليبوفيتش رئيس اتحاد المعارضة البوسنية ان الموافقة على مشروع التسوية يعني انجاز المرحلة الاولى من تفكيك البوسنة ـ الهرسك وانهيارها و"سيكون مصيرنا كمصير الشعب الفلسطيني".

ومما يجدر ذكره أن المسلمين والكروات كانا وقعا نص اتفاق التسويات المؤقتة يوم ٣ آذار/ مارس الجاري في نيويورك، أما الزعيم الصربي رادوفان كارادتش فقد رفض الادلاء بأي تعليق حول الاتفاق. بحيث تلتزم بـ "المحافظة على الرئاسة كمؤسسة" خلال فترة الحكومة الانتقالية، وستتألف الرئاسة الانتقالية من تسعة أعضاء (ثلاثة ممثلين لكل طرف)، وسيعين الاعضاء التسعة من بينهم رئيسا دوريا لمدة ستة أشهر.

أما خريطة تقسيم البوسنة ـ الهرسك فلم توقع، الا أن هناك تكهنات بأن الرئيس البوسني سيوافق، تحت ضغوط من جانب الولايات المتحدة الامريكية، على توقيع الخريطة. واذا تم ذلك فسيكون صرب البوسنة معزولين بصفتهم الطرف الوحيد الذي لم يقبل البنود الرئيسية الثلاثة في خطة السلام الدولية. وكان الوسيطان الدوليان فانسي ـ اوين قد توقعا ان تكون الخريطة المقترحة العقبة الاكبر في طريق الحل المنتظر.

ومما تجدر ملاحظته أن برلمان صرب البوسنة كان قد وافق على المبادىء الدستورية لخطة فانس- اوين يوم ٢٠ كانون الثاني/ يناير الماضي بعد أن قال زعيمهم كاراديتش "علينا أن نكتفي الآن بما يمكن تحقيقه مع خلق الشروط للحصول غدا على ما يصبح ممكنا". وفي اليوم الاول من اجتماعات نيويورك الاخيرة طرح الزعيم الصربي اقتراحا لتعديل الخطة يتضمن مقايضة بعض المناطق المخصصة للصرب مع المسلمين، بهدف ضمان اتصال بري بين المناطق الثلاث الرئيسية المخصصة للصرب، في حين أنه رفض أي تعديل في الشق العسكري من الخطة وقال: "اذا سلم الصرب في البوسنة أسلحتهم الثقيلة فانهم سيفقدون التوازن الاستراتيجي وسيهزمون".

وقبل التعرف على تطور موقف مسلمي البوسنة من خطة فانس- اوين نشير الى أن خسائر المسلمين كبيرة جدا (١٣٠ الف قتيل، ٢ مليون مشرد، ٧٠ الف معتقل، ٢٠ ألف اعتداء واغتصاب على نساء مسلمات، تدمير شامل لكل مراكز الانتاج، اقتلاع شبه شامل لكل الرموز الاسلامية، ازالة قرى وبلديات من الوجود)، اضافة الى خسارتهم على جبهة الارض، اذ يسيطرون فقط على ١٢٪ من البوسنة في تجمعات معزولة عن بعضها، ومن الصعب جمعها سياسيا في دائرة حكم ذاتي مستقل.

وازاء هذه الوقائع نستطيع أن نفهم خلفية موافقة الرئيس البوسني على خطة التقسيم، حين وقع مع رئيس يوغسلافيا الجديدة كوسبتش، في شهر تشرين الاول/ اكتوبر الماضي، على بيان مشترك يتضمن الموافقة على تقسيم البوسنة الى ست مناطق تتمتع بالحكم الذاتي على أسس جغرافية وليست عرقية، وعندما طرحت خطة فانس- اوين، وهي أسوأ بكثير من الخطة السابقة، أعلن وزير خارجية البوسنة حارس سلا يغتيش أن الخطة ستؤدي الى "الغاء" حكومته والى "التقسيم العرقي" لبلاده. وحدد الشروط التي وضعتها حكومته لأي مشروع للسلام وهي:

- اعطاء ضمانات من اجل عودة اللاجئين بأمان.
- انشاء محكمة دولية للتحقيق في جرائم الحرب التي ارتكبت في البوسنة والهرسك.
- تطبيق قرارات الامم المتحدة ومنها منطقة الحظر

الجوي ووضع الاسلحة الثقيلة تحت الاشراف الدولي.

- رفع الحظر على نقل الاسلحة الى البوسنة.
- فك الحصار عن سرايفو.

ولكن تدخل الولايات المتحدة الامريكية واشتراكها المباشر في المفاوضات أعطى ممثلي البوسنة الثقة في أن لهم "صديقا" على مائدة المحادثات. واثر اتصالات الرئيس البوسني بالادارة الامريكية اعتقد المسلمون "ان المفاوضات ستتحرك نحو السلام بتقريب المواقف من دون اللجوء الى فرض المشاريع". وبعدها تعهدت الامم المتحدة السيطرة على الاسلحة الثقيلة للصرب في اطار خطة سلام نهائية، وبعدما التزمت الولايات المتحدة تقديم قوات لتنفيذ الخطة الدولية، وقع رئيس الوفدين البوسني والكرواتي الشق العسكري والترتيبات الخاصة بالحكومة الانتقالية الواردة في خطة فانس- اوين. كما أن القرار والبيانات التي اتخذها مجلس الامن الدولي (القرار رقم ٨٠٨ القاضي بانشاء محكمة دولية من أجل محاكمة مجرمي الحرب، والبيان الذي أدان مجازر الصرب ضد المدنيين المسلمين في شرق البوسنة) جاءت لتعزز اعتقاد مسلمي البوسنة بأن المجتمع الدولي يتحرك من أجل رفع المظالم عنهم.

كما أن المبادرة الامريكية لاقت استحسانا من الرئيس الفرنسي ميتران، حيث أفادت الرئاسة الفرنسية ان كلينتون وميتران "لاحظا ان هناك تقاربا كبيرا في تحليلهما للوضع، خصوصا فيما يتعلق بخطة فانس- اوين، الا أن وزراء خارجية المجموعة الاوروبية وافقوا على تشديد العقوبات المفروضة على يوغسلافيا الجديدة، ولكنهم أبدوا ترددهم بشأن فكرة التدخل العسكري اذا فشلت المفاوضات، فقد صرح وزير الخارجية الالماني: ان الوضع لا يمكن ان يحل سوى "عبر التفاوض" واستبعد فكرة التدخل العسكري بواسطة قوات برية دولية.

اما تطور الموقف الامريكي وصولا الى المبادرة الامريكية التي طرحتها ادارة كلينتون اوائل شهر شباط/ فبراير الماضي، فمن المفيد الاشارة الى أن استقالة جورج كيني، المختص بشؤون يوغسلافيا في وزارة الخارجية الامريكية، احتجاجا على موقف اللامبالاة الذي اتخذته الادارة الامريكية من ماساة مسلمي البوسنة، كان له وقع في اوساط امريكية عديدة. كما ان الرسالة المفتوحة التي ذيلت بـ ١١٠ تواقيع ونشرت في صحيفة "واشنطن تايمز" يوم ٢٧ كانون الثاني/ يناير الماضي (وقعها نيكسون وفورد وريغان ودوكاكيس وماكغفرن وبريجنسكي)، والتي دعت الرئيس كلينتون الى "وضع حد للابادة في البوسنة". كما أن وزير خارجية المانيا لعب دورا في حض الادارة الامريكية على الموافقة على خطة فانس- اوين حين استقبله الرئيس كلينتون في البيت الابيض. وهكذا، فقد جاءت المبادرة الامريكية للمشاركة في مفاوضات السلام وتعيين مبعوث امريكي خاص لتنقل الموقف الامريكي الى معمعة مأساة مسلمي البوسنة. وقد أعلن وزير الخارجية وارن كريستوفر مساء ١١ شباط/ فبراير الماضي خطة لاعادة السلام الى البوسنة وتفادي امتداد النزاع الى كوسوفو ومقدونيا، وفيما يلي النقاط الست من الخطة:

١- ستشارك الولايات المتحدة بفاعلية في المفاوضات الجارية باشراف سايروس فانس (عن الامم المتحدة) وديفيد اوين (عن المجموعة الاوروبية). تعيين ريجينالد بارثولوميو موفدا امريكيا خاصا للمشاركة في هذه المحادثات.

٢- اعلام الاطراف الثلاثة المعنية وهم المسلمون والصرب والكروات بان المفاوضة هي السبيل الوحيد لحل النزاع.

٣- ترغب الولايات المتحدة في "رفع الثمن الاقتصادي والسياسي للعدوان" (الصربي) عن طريق تشديد العقوبات الاقتصادية على بلغراد.

٤- تعلن الولايات المتحدة استعدادها لفرض احترام منطقة الحظر الجوي فوق البوسنة. وترغب واشنطن في تشكيل محكمة للنظر في جرائم الحرب باشراف الامم المتحدة.

٥- تعلن الولايات المتحدة استعدادها لـ "تحمل حصتها من المسؤولية" بالمشاركة في قوة لحفظ السلام تكلف بتطبيق اتفاق محتمل.

٦- ترغب الولايات المتحدة في البقاء على اتصال وثيق مع حلفائها وروسيا.

وأعرب كريستوفر عن قلقه من أن خطة فانس- اوين للسلام قد تقنن "التطهير العرقي". وعندما علقت مفاوضات نيويورك، يوم ٧ آذار/ مارس الجاري، أعلنت الخارجية الامريكية انه "من مصلحة الجميع التوصل الى حل عادل وقابل للتطبيق في أسرع وقت". وتحدث وزير الدفاع الامريكي عن استعداد بلاده لارسال قوات بعد توقيع اتفاقية السلام، وذكر بالموقف الحالي للولايات المتحدة وهو "استخدام وسائل غير عسكرية والضغط على كل الاطراف".

وهكذا، فان المجتمع الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية يرفض بقاء دولة اسلامية اوربية شعبها اوروبي، في حين يكرس اقامة دولة صهيونية تضم شتات يهود العالم في قلب الوطن العربي، انها مهزلة "الشرعية الدولية" وأكبر وصمة عار في جبين الحضارة الغربية ■

تشيكوسلوفاكية بين تاثير الماضي واضطراب الحاضر والخوف من المستقبل (٣)

الفكر العلمي للاشتراكية يرى في الديمقراطية انها الوجه الآخر للاشتراكية.

■ في الحلقة الثانية، كان الحديث يدور حول الاصلاح ومبررات التغيير. ونواصل في هذه الحلقة الحديث عنه. حيث تتم معالجة الفكر الاشتراكي للديمقراطية.

يرى الفكر العلمي الاشتراكي في الديمقراطية، أنها الوجه الآخر للاشتراكية، وأي فصل بينهما سيؤدي الى الحاق الأذى بمفهوم الاشتراكية ذاتها والى حرمان التجربة الاشتراكية من قوة ديناميكية فاعلة محرضة على التقدم والتطور، وحرمانها من العامل المساعد على استكمال تفاعلاتها مع الجماهير، وافتقارها الى عامل منشط يعمل على فرز أصيلها عن دخيلها وعلى تحديد صديقها من عدوها.

كما أن غياب الديمقراطية وحرياتها، أوجد سدا بين التجربة وبين ابداعات ومبادرات الجماهير. وأفرغ الجماهير أيضا من قواها المعطاءة التي كان لا غنى عنها للتجربة في تذليل الصعاب والعراقيل التي تعترض أهدافها النبيلة.

وقد يقول قائل، ان غياب الديمقراطية والعمل بالاجراءات الاستثنائية، كان لابد منه للحفاظ على التجربة من أعدائها في الداخل والخارج.

ومع تسليمي، بأن التجربة، أملت اجراءات وقيودا استثنائية في بداية المرحلة الانتقالية، كرد على تآمر القوى المعادية، قد حازت على تفهم الجماهير، للحفاظ على التجربة، ولحماية منجزاتها من التخريب.

ولكن تلك الاجراءات والقيود، لم تعد مقبولة ولا مفهومة من نفس الجماهير التي تفهمتها سابقا، لأنه لم تعد مفهومة دواعي استمرار العمل بها، بعد النجاحات التي تحققت وبعد سيادة الامن والاستقرار الذي ساعد في توطيد النظام الاشتراكي. فكان على قيادة التجربة، أن تعي أنه قد استوجب التخلي عن تلك الاجراءات والقيود، وأصبح من الضرورة السير في طريق الديمقراطية والعمل على تعزيز الحقوق والحريات الديمقراطية للجماهير صاحبة التجربة.

فاستمرار العمل بتلك الاجراءات، شكل مع مرور الزمن منهجا اداريا مركزيا للسلطة، وعائقا أمام تطور التجربة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وشكل سببا في تخلف قيادة الحزب عن ادراك وفهم المتغيرات المتراكمة في المجتمع.

نجاح او فشل عملية الاصلاح، مرتبط بمدى القدرة على خلق اجواء التفاعل الجماهيري مع اهدافها

فسيادة مظاهر الديمقراطية الشكلية، التي سعت قيادة الحزب من خلالها التعويض عن غياب الديمقراطية الحقيقية حفاظا على مواقعها ومكتسباتها، لم تؤد الى افراغ مطالب الجماهير بالحريات الديمقراطية من محتواها الواقعي والجوهري. بل ان استمرار العمل بتلك المظاهر الشكلية لديمقراطية قيادة الحزب، أدى الى نشوء أزمة ثقة عميقة بين الشعب وسلطة الحزب والدولة المتمثلة للتجربة الاشتراكية.

ومع مرور الزمن، اتسعت وتعمقت تدريجيا أزمة الثقة تلك، لتتفجر دفعة واحدة على الشكل الذي حدث في شهر تشرين ثاني من عام ١٩٨٩.

فقيادة الحزب، لم تكن تعطي اهتماما ولا اعتبارا، للثمن الفادح، الذي كانت تدفعه التجربة، ولا للأذى البالغ الذي كان يلصق بقيم الاشتراكية، من جراء استنزاف واستهلاك رصيدها من القيم والمعاني النبيلة.

لأن كل التجارب والثورات تسقط باستهلاك قيمها ومعانيها الخلاقة النبيلة، كالانسان تماما يسقط عند سقوط قيمه.

وهذا لا يعني أن سقوط الانسان والثورات، هو سقوط للقيم ولسمو معانيها.

صحيح أن استمرار العمل بالقيود والاجراءات الاستثنائية، حسم الأمر لصالح مركزية القيادة. لكن في الجانب الآخر، ساعد في توسيع قاعدة التناقضات وعمقها في المجتمع بحرمان الجماهير من حقها في ابداء رأيها فيما يجري ويحدث داخل التجربة، وأمن أرضية خصبة للقوى المعادية للتجربة لمضاعفة تدخلها وهجومها على التجربة تحت راية الدفاع عن حقوق الانسان والحريات والديمقراطية، ومكن الدول الغربية من تقديم نفسها للعالم على أنها المدافع والحامي للقيم والحريات الديمقراطية وحقوق الانسان.

فاستمرار القيادة بادارة التجربة بمفاهيمها الخاطئة، وبقاؤها في مواقع محصنة بعيدة عن المتغيرات والتراكمات الجارية في المجتمع، غير مدركة للعواقب الوخيمة والاذى الفادح، الذي يلحق بنمط ادارتها للتجربة، أحرق العديد من قيم ومبادىء الفكر الاشتراكي السامية، التي مع مرور الزمن سرعان ما أصبحت تلك القيم والمبادىء وكأنها مصطلحات النقيض للمفاهيم الاشتراكية.

من أجل تحديد معالم الاصلاح، لابد من الانطلاق من قاعدة التميز بين التجربة الاشتراكية بكونها شكل تاريخي أملته ضرورات موضوعية عاشتها في الماضي الأمة التشيكوسلوفاكية، وبين الانحرافات والتجاوزات السياسية والاقتصادية والفكرية، التي الحقت بالتجربة، والتي لها صلة وعلاقة وطيدة بخصائص قيادة التجربة نفسها. والتاريخ مليء بالأمثلة على أهمية دور القيادة في توجيه مجريات وأحداث التجارب ان كان ايجابا أو

سلبا.

فالاصلاح كان ضرورة وحاجة، أملتها ظروف موضوعية كانت نتاجا لمحصلة المتغيرات والتراكمات الحاصلة على المستوى الوطني والعالمي. وعدم القيام بالاصلاح، كانت تمليه، ظروف ذاتية غير ناضجة لقيادة الحزب المتنفذة، التي تكلست وتخلفت بفعل عدم مواكبتها لتطوير وتغير أمور الحياة، وبفعل عامل الزمن الذي ألقى بظلاله عليها.

فبقيت تدير شؤون أمور التجربة، وعلى شتى الأصعدة والمستويات، بقوالب قديمة تحنطت هي أيضا بفعل عامل الزمن وخصائص تطور شؤون أمور الحياة.

فظروف المجتمع والتجربة، كانت ملائمة للبدء في فتح المجال لعملية الاصلاح المدروسة والمحددة المعالم والخصائص والأهداف. من أجل متابعة التجربة مسيرتها بنمط جديد أكثر تقدما من نمط اشتراكية الدولة المفرطة بالمركزية، وأكثر قدرة على مواكبة التقدم والتطور الذي أنجز في المجتمع، وأكثر اتساما بالاستقلال الاداري والمالي للوحدات والمؤسسات الانتاجية، وأكثر صدقا في تكريس وترجمة الحريات والحقوق الديمقراطية.

فالاصلاح، كان يتطلب تحديد الخيارات المناسبة للآلية المتناسقة المفاصل مع أهداف عملية الاصلاح برمتها، من خلال فهم واضح لحقيقة الظاهرة أو الحالة المطلوب علاجها، ومن خلال الادراك التام لاحتمالات تأثيرات العملية الاصلاحية الايجابية منها أو السلبية على مختلف القطاعات الاقتصادية وأنشطة الحياة الأخرى.

ويحتاج الى ادراك تام، أن نجاح أو فشل العملية الاصلاحية مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى القدرة على خلق تناسق وانسجام العملية بمجملها مع مطالب الجماهير، وعلى خلق أجواء التفاعل الجماهيري مع أهدافها.

فالجانب الاقتصادي لآلية الاصلاح، كان عليه أن يؤمن متطلبات تحسين أداء القدرات الاقتصادية وفي مقدمتها القدرات البشرية، وتوفير الاطار المناسب للأداء الاقتصادي الأكفأ على استغلال الموارد الوطنية، وخلق الظروف المواتية للتفاعل مع ردود الفعل والانماط السلوكية الانتاجية والاستهلاكية البشرية الأكثر ايجابية.

وهذا تطلب اعادة بناء نظم الانتاج، ورفع معدلات الانتاج والانتاجية ورفع مستوى نظم الحوافز كي تستجيب مع الديناميكية المطلوب الوصول اليها من خلال عملية الاصلاح.

الوصول الى الديناميكية المطلوبة، كان يقتضي ايجاد آلية اقتصادية قادرة على تحريك السوق، وخلق الأجواء المنشطة لعملية زج الطاقات البشرية والمادية في جميع أنشطة الحياة، واثارة الطاقات الذهنية على الابداع والمبادرة الذاتية، والاستفادة منها في عملية التحديث والتطوير.

فايجاد الآلية، كان يشترط تأمين قوى دافعة، لا غنى عنها، وهي قوة "التنافس الاشتراكي" ان جاز التعبير، بين المؤسسات الانتاجية، بحيث يكون مدى تطورها ونموها عائد الى قدرتها في اثبات ذاتها في السوق الاشتراكي، وبمعزل عن تدخلات الدولة أو سلطة الحزب في تحديد مؤشراتها ورسم خططها وحجم رأس مالها.

غير أن هذا "التنافس الاشتراكي" كان مرفوضا من قيادة ومفكري الحزب لأن التنافس هو احدى افرازات الفكر الرأسمالي.

لابد من التميز بين التجربة الاشتراكية وبين الانحرافات والتجاوزات السياسية والاقتصادية والفكرية فيها.

فالآلية المنشودة، كان مطلوب لتحقيقها التخلص وقبل كل شيء من قوالب بيروقراطية الحزب والدولة.

ومطلوب أيضا خلق الانسجام بين عرض السلع والطلب عليها، وبين الأجور والأسعار، وبين الأسعار وتكاليف الانتاج وجودته، وبين تكاليف المشاريع ومردوديتها.

ومطلوب أيضا، رفع القيود عن المؤسسات لتمكينها من البحث عن مجالات لتسويق وترويج انتاجها سواء في السوق المحلي أو في الأسواق العالمية.

فعدم الاعتراف بالاشكالات والظواهر السلبية، التي كانت واضحة كل الوضوح في مسيرة التجربة الاشتراكية، وبالتالي استبعاد امكانية معالجتها او اصلاحها، أدى الى

تراكم شديد له حساسية انفجار عالية. سرعان ما انفجر في أول فرصة أتيحت له، مسببا انهيارا داخليا في بنى الدولة وفي المؤسسات الاشتراكية بشكل فاق كل تصور، أربك قيادة الحزب والدولة، وجعلها غير قادرة على مسك زمام الامور ولا على توجيه الأحداث المتلاحقة، فآثرت الانسحاب، ولم يكن أمامها غير هذا الطريق حفاظا على ذاتها كاشخاص، باتفاق سري تم بينها وبين المعارضة، أساسه انتقال السلطة بهدوء، وبشرط عدم التعرض لقيادة الحزب والدولة كاشخاص.

وهذا ما تم وحصل وما أعلن عنه في وسائل الاعلام فيما بعد.

فقبل انفجار الأحداث في شهر تشرين ثاني من عام ١٩٨٩، كان في المجتمع التشيكوسلوفاكي ثلاث أطراف تتجاذب وتتصادم في الخفاء والعلن، بوسائل عديدة منها ما كان ظاهر للعيان ومنها ما كان مختفيا في ثنايا السر والخفاء.

فالأطراف الثلاثة كانت:

الطرف الأول: قيادة الحزب باعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي والقوى المستفيدة منها، ومن استمرار سلطتها ونفوذها على الشكل الذي كان سائدا. لهذه القيادة، كان أربعة رموز، تمثلت برئيس الجمهورية غوستاف هوساك وأمين عام الحزب الشيوعي، وفاسيل بلاك عضو المكتب السياسي والرجل القوي ومنظر الحزب والمدعوم من قبل السوفييت، ولوبمير شتروغال رئيس الوزارة الفيدرالية منذ فترة أحداث عام ١٩٦٨، وآليس اندرا رئيس البرلمان الفيدرالي. في الاطار الخاص، كانت تلك الرموز تتجاذب وتتصادم، في اطار زيادة النفوذ والمكاسب والامتيازات الشخصية.

وفي الاطار العام، كانت تلك الرموز مع بقية أعضاء المكتب السياسي، عائقا أمام عملية الاصلاح، من خلال اصرارها على بقاء الأمور على ماهي عليه والاستمرار في قيادة التجربة بالمركزية المفرطة وبالقوالب المحنطة من التعليمات والأوامر. خاصة وأن تلك القيادة، بتأثير تكلسها وتخلفها عن فهم المتغيرات الجارية في المجتمع التشيكوسلوفاكي، كانت تواجه أي دعوة للتغير أو الاصلاح، بأساليب قمع تنوعت وفق درجة الدعوة ومستوى الداعي لها.

ولذلك كانت تشكل عائقا كبيرا أمام أي مبادرة اصلاح صادقة صادرة من داخل الحزب أو من داخل مؤسسات الدولة.

واستمر التصادم بين الرموز الأربعة في الحزب، حتى تم تعيين ميلوش ياكيش الرجل الضعيف في المكتب السياسي أمينا عاما للحزب الشيوعي في اجتماعات الدورة السابعة عشرة للجنة المركزية للحزب الشيوعي التي عقدت بتاريخ ١٧-١٢-١٩٨٧. تعيين ميلوش ياكيش في موقع الأمين العام الجديد، يملك من المقومات، ما تمكنه من الاستجابة لضرورة الاصلاح.

وبقي الحال على ماهو عليه حتى انفجار الأحداث، تحرك خيوطه الرموز القوية الرافضة لأي اصلاح، حتى بعد خروج لوبمير شتروغال خارج اللعبة، وتعين بدلا منه لاديسلاف ادامتس الاقتصادي المعروف بقدراته وتطلعاته للاصلاح والتغير، رئيسا للوزارة الفيدرالية بتاريخ ١٢-١٠-١٩٨٨. والذي اصطدمت محاولاته للاصلاح بتلك الرموز القوية، حتى اللحظة الأخيرة من انفجار الأحداث المدوية.

الطرف الثاني: القوى المعادية للتجربة من أساسها، والساعية الى تدميرها، والمدعومة من قبل الدول الغربية. تشكلت هذه القوى من مجموعة من المثقفين ومن الذين تضررت أسرهم من جراء قرارات التأميم. ومن الذين تضرروا في أحداث عام ١٩٦٨، ومن القوى الصهيونية المنتشرة داخل المجتمع التشيكوسلوفاكي.

لم تكن تلك القوى، قادرة على تشكيل معارضة قوية لها رموزها وقواعدها وبرامجها.

كان تركيزها على الجوانب السلبية كي تضرب كل ماهو ايجابي في التجربة، لطمس وجه الحق والحقيقة في التجربة كلها، وكان شهادة التاريخ مطية للأحقاد.

أثناء أحداث شهر نوفمبر من عام ١٩٨٩، ظهرت على السطح واستطاعت التحرك بسرعة والاستفادة من احتجاجات الجماهير التي اندفعت معبرة عن رفضها لكل الأخطاء والتجاوزات التي حصلت أثناء التجربة، وتمكنت من استلام زمام المبادرة في توجيه الاحداث، واستلام السلطة من قيادة الحزب الشيوعي.

الشخصية التي برزت أكثر من غيرها أثناء الأحداث، هي فاتسلاف هافل الكاتب التشيكي، الذي

كان يعمل في مسرح فينوهرادي، وهو ينحدر من عائلة برجوازية تضررت ممتلكاتها في سنة ١٩٤٨ من جراء قرارات التأميم. هرب من تشيكوسلوفاكية سنة ١٩٦٨ بعد حسم أحداث تلك السنة لصالح استمرار التجربة الاشتراكية.

واستقر في لندن في كنف أسرته الغنية، حتى ظهوره فجأة في مطار براغ سنة ١٩٧٥. وقد أودع السجن لعدة أشهر بعد محاكمته وادانته بتهمة الخروج من البلاد بطريق غير شرعي. كان من المناهضين للتجربة الاشتراكية، والموقعين على ميثاق ٧٧، الذي طالب الموقعون عليه باطلاق الحريات الديمقراطية.

تم انتخابه رئيسا للجمهورية من قبل البرلمان الفيدرالي بعد انهيار التجربة. رغم أنه كان من الداعين لانتخاب الرئيس من قبل الشعب مباشرة وليس من قبل البرلمان. وبعد أن أدرك مع الأطراف المحيطة به ان الشارع مع انتخاب الكسندر دوبتشك رمز الاصلاح في عام ١٩٦٨ رئيسا للجمهورية، غير تحركه نحو انتخاب الرئيس من قبل البرلمان وليس من قبل الشعب مباشرة.

تلك القوى المناهضة، كانت تدعو الى العودة الى الرأسمالية، على الرغم من أنها لم يكن لها برنامج أو تصور حول كيفية العودة. ولم نقم باعداد أي تقديرات أو تصورات حول الاضرار التي يدفعها المجتمع والاقتصاد الوطني من جراء العودة الى الرأسمالية.

تلك القوى، وضعت أمامها هدفا واحدا وهو العودة الى الرأسمالية من خلال تدمير التجربة الاشتراكية. وكما قالت أحد الشخصيات تلك القوى "سنقلع الاسمنت الذي بنيت فوقه المؤسسات الاشتراكية".

لكن كيف العودة؟ وبأي الوسائل ستتم العودة؟ وماهي الاخطار والعواقب لعملية الانتقال من التوجه الاشتراكي الى التوجه الرأسمالي؟

الاجابة عن كل تلك الاسئلة لم تكن ضمن حسابات تلك القوى المناهضة للتجربة.

الطرف الثالث: قوى الاصلاح، التي أدركت الأخطاء والعراقيل، التي اعترضت مسيرة التجربة، ودعت الى ضرورة الاصلاح والتجاوب مع المتغيرات المتراكمة في المجتمع، من أجل تعزيز انجازات التجربة ومواصلة المسيرة من خلال تطويرها وتحديثها.

تلك القوى، ضمت بين صفوفها غالبية من واكب التجربة منذ بداياتها الصعبة وضحى في سبيلها، وضمت أيضا الكفاءات والقدرات التي سعت بجهد كبير لترجمة ذاتها عبر ضرورة الاعتراف لها بقدرتها على تحمل مسؤولية مواصلة بناء التجربة. وضمت أيضا فئات كبيرة من العمال والفلاحين والمثقفين، التي كانت تعترض على التجاوزات والأخطاء والخطايا التي كانت تقترفها القيادة، ودعت الى اتاحة الفرصة للأجيال الشابة في تحمل مسؤولية ادارة التجربة بعقلية وأساليب حديثة.

تفاوتت فئات تلك القوى، في مدى قدرتها على التحمل والاستمرار في بذل الجهود لاثبات ضرورة الاصلاح. ومع أنها كانت تشكل الغالبية في المجتمع، الا أنها أثناء الأحداث، أظهرت نسبة كبيرة منها عدم اكتراث بما يجري ويحدث، بتأثير وطأة خيبة الأمل والاحباط واليأس، الذي أصيبت به أثناء التجربة.

وبعد ما سبق ذكره أو الاشارة اليه، عن بعد أو عن قرب، يبقى قول لابد من قوله في تقييم التجربة الاشتراكية في تشيكوسلوفاكية، وهو:

ان التجارب الاشتراكية في أوروبا الشرقية ينطبق عليها ما انطبق على التجربة في تشيكوسلوفاكية مع فارق الظروف والخصائص. الا أن التجربة، كانت تجربة زاخرة في حياة البشرية وفي زماننا المعاصر. ومثل كل التجارب الثورية جاءت بفعل الزخم الشعبي الجارف، لتعديل أجحاف قد وقع، ولرفع ظلم قد مورس، ولانصاف من هم دون الانصاف.

والتجارب تقاس، بأهدافها والتحديات التي واجهتها، وبالامكانات التي توفرت لها، وبالانجازات التي حققتها، وبالتجاوزات والأخطاء التي ارتكبتها، من أجل يكون الحكم منصفا للعدل والحق، وغير ذلك يكون الحكم تعسفا، ونكون بذلك قد دفعنا التاريخ الى مستوى المؤامرة.

والمنطق، لا يمكن أن يقبل أن تكون هيئة القضاة التي تحاكم وتنطق بالحكم هي من أعداء التجربة. وكأي محكمة لابد لها من قضاة مشهود لهم بالعدل والنزاهة، ورجاحة العقل والمنطق، كي يكون الحكم عبرة لمن لم يعتبر ■

البقية في العدد القادم

تتمة رأينا

شعبها وتاريخها النضالي، عبر معاهدة سلام تكون لها الاولوية على اية معاهدة بين مصر واي دولة عربية اخرى.

وامريكا اليوم، وهي تعلن عن استعدادها لتلعب دور الشريك الكامل، تجد من حكومة رابين، تحديدا جديدا للمفهوم، ما دام الحاجز النفسي على مستوى القمة لم يتم احداث الشرخ فيه، كما حصل بعد زيارة السادات للقدس، والتي كانت المقدمة المنطقية لصفقة كامب ديفيد. كما ان مسارات مؤتمر مدريد وما واجهته خلال الجولات الثمانية الثمانية السابقة من تعقيدات، تؤكد انه لابد من تغيير قواعد اللعبة وازالة التناقضات التي فرضتها ظروف التحضير لمدريد.

فبالنسبة للكيان الصهيوني، لم يعد الوفد الاردني الفلسطيني المشترك حقيقة واقعية قائمة. فقد اكد الوفد الفلسطيني استقلاليته. وتوصل الاسرائيليون مع الوفد الاردني عشية الانتخابات الامريكية الى جدول اعمال اثار انتقادات كثيرة في حينه، مما ادى الى التراجع عن بعض بنوده او تعديلها. وكان السوريون قبل ذلك، قد توصلوا الى نقاط اتفاق تكاد تكون شاملة. وتم تبنيها والموافقة عليها من الاسرائيليين. كل هذا تم في ظل محاولة لتجميد المسار الفلسطيني عند نقطة الصفر. حيث لا يزال حتى الان. واذا كان واضحا ان المسار الفلسطيني هو الوحيد المقيد بسقف زمني، فان اي توصل لاتفاق سوري -اسرائيلي او اردني -اسرائيلي او لبناني -اسرائيلي، اما ان يكون جاهزا للتوقيع والتنفيذ..، وهنا يكون دور الشريك الكامل واضحا، واما ان ينتظر المسار الفلسطيني للوصول الى نهايته. وهنا لا بد من الاشارة الى الانسحاب التدريجي الذي جرى في كامب ديفيد، باعتباره النموذج الذي يمكن ان يطبق على الجبهة السورية. وفي محاولة لتجاوز النتائج المأساوية الذاتية التي اصابت السادات بعد كامب ديفيد. وفي ظل ظروف داخلية معقدة في سوريا، فان الادارة الامريكية توصلت بعد جولة كريستوفر الى وضع وثيقة تقييمات استنادا على مصادر مقربة من اوساط سياسية رفيعة المستوى في سوريا وعلى تطلعات القيادة السياسية في دمشق والرئيس السوري حافظ الاسد، والتي تستهدف ازالة آثار حرب حزيران ١٩٦٧. وقد نشرت جريدة معاريف الاسرائيلية النقاط الاساسية للوثيقة اليوم (١٥/٣/١٩٩٣)، مشيرة الى ان بعض الاوساط الامريكية تقول: (ان المغزى العملي من الناحية السورية، هو انه يجب ضمان الامن القومي في ظل الواقع الاستراتيجي الجديد، من اجل استقرار الاوضاع في الشرق الاوسط، والتمكن من تحويل المصادر المالية الى اهداف وطنية اخرى. وبناء على هذه التقديرات، فانه ليس بالامكان تحديد تصفية اسرائيل كهدف، وذلك من اجل ان تتوقف عن تشكيل تهديد لسوريا في حدود ١٩٦٧. ويوجد في دمشق تفهم لاحتياجات امنية اسرائيلية معينة، خصوصا في مجال الانذار المبكر ونزع أسلحة من مناطق وفصل قوات وما شابه ذلك).

ويعتقد الامريكان، كما تشير الوثيقة بان دمشق (قد استبدلت جدول افضلياتها، فلم تعد تضع القضية الفلسطينية قبل قضية الجولان). وهذا ما حدا بالوثيقة الى اشارة خطيرة تتناقض مع الاعلان السوري الرسمي حول قضية القدس واعلان الوزير الشرع نفسه عن تبنيه ودعمه للنقاط الست التي وصفها بالمطالب الفلسطينية، في حين كان يعرف انها مشروع كريستوفر نفسه، وانها جزء من المطالب التي تضمنتها المذكرة الفلسطينية لكريستوفر. فقد نصت الوثيقة (بخصوص القدس، تتبنى دمشق توجهات براغماتية، فالحل لا يتناقض وبالضرورة مع مطلب مدينة موحدة تمكن من حرية العبادة، ولا تصر على ان تكون عاصمة الكيان الفلسطيني لدى اقامته في القدس).

لقد كنا ولا زالنا نعتقد ان الموقف العربي الموحد من كل القضايا، هو مصدر قوتنا كعرب، ومصدر قوتنا كاطراف في مواجهة الشراكة الاستراتيجية بين امريكا و"اسرائيل". كما جاء في تصريح الرئيس الامريكي اليوم (١٥/٣/١٩٩٣). لقد حاولت حركتنا اتخاذ مبادرة للتسريع في عقد اللقاء العربي للاطراف المشاركة في مسيرة التسوية. وتوجه الاخوان ابو لطف وابو ماهر للالتقاء بالاخوة السوريين من اجل تحقيق الاجتماع، بحيث يصدر الموقف العربي الموحد قبل لقاء رابين بكلينتون، وبحيث تعطى رسالة الموقف العربي الموحد للرئيس الامريكي اشارة واضحة لمفهوم الحل الشامل على كل الجبهات ودون استفراد، ولمفهوم المرجعية وانطباق القرار ٢٤٢ و٣٣٨، والارض مقابل السلام بشكلها الكامل. ولا ندري لماذا اصر الاخوة في سوريا على تأجيل الاجتماع العربي، وان كان هذا بحد ذاته يشكل توجيه رسالة سورية لاجتماع كلينتون رابين، وهو ما ينسجم مع الفهم الامريكي لتطلعات سوريا من عملية السلام. حيث تنص وثيقة التقييمات الامريكية على ان: (الموقف السوري من

مسيرة السلام راسخ ونابع من توجهاتها الجديدة حيال الامن القومي السوري، وان هدف دمشق هو تحييد التهديد الاسرائيلي لسوريا ومصالحها في المنطقة. فمن وجهة النظر السورية، ان السلام لا يعادل الاعتراف باسرائيل وبحقها المبدئي في الوجود. ويرى السوريون بانسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ عنصرا رئيسيا في توجهات الامن القومي). وقد اشارت الوثيقة حول موضوع التسوية من وجهة النظر السورية (كما يراها الامريكان) على الشكل التالي: (تتمسك سوريا بالتوصل لتسوية شاملة على اساس ٢٤٢ وبناء على صيغة مناطق مقابل سلام على مرحلتين، اولا: تعلن اسرائيل عن الاعتراف بالسيادة السورية على الجولان. وبعد ذلك تنسحب بالتدرج خلال فترة خمسة اعوام بما في ذلك تفكيك مستوطنات اسرائيلية. ويتم في هذه الفترة تحقيق المصالح الفلسطينية وذلك من اجل عدم ترك دمشق معزولة في المسيرة. وفقط في نهاية التسوية في جميع القطاعات ستكون سوريا على استعداد لتطبيع العلاقات).

لقد استطاع رابين الوصول الى امريكا والالتقاء بالرئيس كلينتون في ظل هذا المفهوم الامريكي للموقف السوري من عملية التسوية. وحيث ان الشراكة الاستراتيجية تطرح في وقت يصادف تجديد وثيقة التفاهم الاستراتيجي بين امريكا و"اسرائيل" لمدة سنوات خمسة قادمة، فان الشراكة قد تجاوزت مفهوم التفاهم الى حد الاعلان عن تشكيل لجنة عليا مشتركة للعلوم والتكنولوجيا. وتكمن خطورة مثل هذه اللجنة استراتيجيا، بانها تعطي للكيان الصهيوني قدرة توسعية جديدة في اطار الهيمنة على اسس علمية تكنولوجية تحدد مفهوما جديدا لحدود "اسرائيل الكبرى" في عصر الثورة العلمية التكنولوجية.

ولم يضيع رابين فرصة وجوده في امريكا دون الاشارة بوضوح الى الخطر الاستراتيجي الجديد الذي يهدد منطقة الشرق الاوسط، والذي قال في المؤتمر الصحفي مع كلينتون: (انه قد وصل الى شواطىء امريكا) مشيرا بذلك الى انفجار المركز التجاري في نيويورك، والذي تشير اصابع الاتهام الى المسلمين المتعصبين. وقد طرح رابين على كلينتون موضوع خطورة التحالف بين سوريا وايران. حيث تتناقض المواقف الظاهرية بين التوجه نحو السلام من جهة، والالتزام بخط الارهاب الديني المتعصب من جهة اخرى. ويحاول رابين ان يتعامل مع قضية المبعدين انطلاقا من اعتباره انهم ينتمون الى تيارات اسلامية ولا يجوز التساهل في التعامل معها. لقد كان الموقف المسؤول للمنظمة بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني والمدافع عن حقوق افراده وجماعاته، بغض النظر عن الدين والجنس او العقيدة، يشكل قمة المسؤولية الوطنية. ويجعل من الاخوة المبعدين وحقهم في العودة جزءا لا يتجزأ من مسؤولية منظمة التحرير الفلسطينية. وقد وضعت المنظمة بذلك حدا لكل الفئات والقوى التي تحاول المتاجرة والمناقصة والمزايدة باسم المبعدين. فالموقف المبدئي من موضوع الابعاد باعتباره غير مشرعي، ومن ضرورة التأكيد الامريكي والاسرائيلي على عدم عودة الكيان الصهيوني لممارسة عملية الابعاد في المستقبل، اضافة الى تسريع عودة المبعدين من مرج الزهور الى الوطن، واعادة اعداد كبيرة ممن قد تم ابعادهم منذ عام ١٩٦٧، هذه النقاط الى جانب موضوع حقوق الانسان، والمرجعية، والقرار ٢٤٢، والارض مقابل السلام، وانطباق ذلك على القدس، هي جوهر النقاط الست التي تراجع الامريكان عن بعضها لخلق عقبة في وجه المشاركة الفلسطينية في الجولة التاسعة. الامر الذي حدا بالوفد الفلسطيني في القدس، وبامر من القيادة الفلسطينية برفض استلام بطاقة الدعوة، وبرفض المشاركة ما لم تتم الاجابة الامريكية الواضحة على المذكرة الفلسطينية للوفد الامريكي.

واذا كان الرئيس الامريكي قد تمنى في مؤتمره الصحفي ان يحضر الفلسطينيون الجولة التاسعة، فان عليه ان يقوم بالالتزام والتعهد الذي يسهل ذلك. فالفلسطينيون يرفضون ان يعاملوا هكذا، وكانهم شيء مضمون وفي الجيب الصغير لهذا الطرف او ذاك. كما ان منظمة التحرير الفلسطينية لا تزال متمسكة بضرورة الوصول الى الموقف العربي الموحد من مجمل العملية التفاوضية، بحيث يكون الالتزام العربي باسس المرجعية والقرار ٢٤٢ وانطباقه على جميع الجبهات، بما فيها القدس، وبضرورة التزام "اسرائيل" وامتثالها للقرار ٧٩٩. ان الموقف العربي الموحد يعطي القوة لسوريا، بنفس الدرجة التي يعطيها للاردن وللبنان، ويجعل القضية الفلسطينية وقضية القدس المقدسة مصدر استقواء بالطاقات العربية والاسلامية اينما كانت. ان الشراكة الاستراتيجية بين امريكا و"اسرائيل" على الباطل تقتضي من العرب، جميع الاشقاء العرب، أخوة استراتيجية على الحق.. ومن اجل الحق.

وانها لثورة حتى النصر



الصفحة الأخيرة

لا نملك الا ان نكون

الخير يبقى، يضيء حجر تحت جبهة ساجدة،

القدس في البال، وفي جمرة الدم الملتهبة، هنا..

مرج الزهور، هنا الأمة في خشوع الترتيل، في الزعتر المختبىء من ثلج الصباح. لا مكان الا للجباه المتوضأة، ولـلحنين المتصاعد أذانا الفجر، هنا يتناغم النشيد والصمود الجمعي الى سدرة الحرية والمنتهى.

الله يا وطن؟

لله يا غربة؟

الله نبضة الدم النازفة ارتقاء لجبهة يافا..

الخير يبقى والقدس في البال.. تقصى القدس على الرحيل، وغرناطة في البال.. يتداخل التاريخ والدعسات والخطى، ويظل المكان ووجه الانسان وشقائق النعمان.

(٢)

أية لعبة بين الغزاة والمقاومين، أية لعبة بين حضارة تستلهب وحضارة تريد أن تسترد مناخها وافقها وصوت مآذنها، أية لعبة بين الرصاصة والحجر، أية لعبة بين الجندي المترع بالبارود، ودم الشهيد بسخونة دفقته الأولى؟ بل أي طعم للزمان أو لـليوم عندما يمر دون مقاومة، أي طعم للصباح، لقهوته، لسجائره، لاحلامه ان مضىء دون فراق هتافات المظاهرة؟

أي زمن لا يتشح بالاسود؟ ان لم تنهض كل الاكف للمقاومة؟

المقاومة.. حياة ونبض واتصال بخضرة الارض ونبض القمح.

المقاومة، اي ان نكون، ولا ينقطع وصلنا بالزمان والمكان، فلا تنكرنا ذاكرة الأجيال، أو تنسانا مآذن البلاد..

أي زمن لنا؟

أي زمن لهم؟

يشهد علينا هذا العمر التاريخ..

ويشهد عليهم صلاح الدين وابن الخطاب، والترتيل في زمن الصدق الآتي..

(٣)

لا وقت لنا، الا أن نخرج من نشاف اللحظة القائمة، ان نخرج من وجعها لنرى هذا الربيع الذي يورق في كل الازقة والبلاد،

لا وقت لنا، كل واحد، يعرف الوجع، تفاصيله، فله منه مواجع جمة، ولكن، لا وجع أكبر من وجع الوطن..

لا وجع أصدق من وجع الوطن؟

لا نملك الا نكون،

لا نملك، الا نجعل سيرة الشهداء، سيرة السمر، وفاتحة الدروس،

لا نملك الا طريقا واحدا، رغم جموح ثلج المساء، ورغم لسعة الجوع، ورغم كل المر والعلقم، لا نملك الا طريقا واحدا،

انه كأسمائنا.. كنقش جلودنا

كلون القمح الذي فينا،

لا نملك الا نكون...

لا تقل وجعي.. فالزمن دليل

لا تقل.. أي شيء..

فهل نملك شيئا غير أن نكون..

غير أن يظللنا اللون الاخضر،

والبسمة الخضراء،

والحقول الخضراء

لا نملك الا طريقا واحدا..

ويشهد الشهداء..

يشهد أبو جهاد، ويشهد القمر

والارض تشهد

ان كل الطرق غير مقفولة

لا نملك الا طريقا.. حتى نكون، وحتى نسمح للحزن الجميل ان يقول، وحتى نسمح للروح التي كانت، أن تكون...

ونطل البدلة الخضراء

واليد الخضراء

ان تكون

ان تكون

معا.. لا نملك الا ان نكون.

- الاتصالات والمراسلات -

البريد الخاص - 1080 ص. ب. 18 تونس - الجمهورية التونسية - فاكسميل : 767599